الطبقات الصغرى

للإمام أبي المواهب عبد الوهاب الشعراني

مكتبة القاهرة
لصاحبها : علي يوسف سليمان
شارع الصنادقية : ميدان الأزهر بمصر
ص . ب ٩٤٦ - تليفون ٩٠٥٩٠٩

الطبقات الصغرى

للإمام أبي المواهب عبد الوهاب الشعراني

تحقيق
عبد القادر احمد عطا

١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

مكتبة القاهرة
لصاحبها : علي يوسف سليمان
شارع الصنادقية بميدان الأزهر الشريف بمصر
تليفون ٩٠٥٩٠٩ ـ ص.ب ، ٩٤٦

بسم الله الرحمن الرحيم

ابو المواهب الشعرانى

تمهيـد :

مما لا شك فيه ان قيام خلاف فكرى حول تقييم شخصية ما ، يعطينا حقيقة هامة جدا هى : أن هـذه الشخصية التى اختلف العلماء فى فهمها شخصية عظيمة دون مراء ٠

وفى اغوار العظمة السحيقة لهذه الشخصية دروبها المتعددة الأنحاء تتجـه تيارات الفكر باحثـة عن غاية تقف عندهـا ، ثم تستجمع ما عن لها من ملاحظـات على الطريق ، لتدلى برأى قاطع حول تلك الشخصية الفـذة ٠

وقـد تجتمع الآراء على شىء واحـد لا تراه معلنا واضحا ، ثم تفترق فى تقـدير القيمة الحقيقية لهـذه الشخصية حسـبما بدت لتلك العقول الفاحصـة ٠

أما ما يمكن فهمه من الخـلاف حول تفسـير حقيقة شخصية الرجل العظيم فهو انه شخصية افسح واعمق من ان تسـبرها العقول منفردة ٠ وأما ما تطالعنا به التقارير النهائية عن هـذه الشخصية فهو الخلاف حولها من الولايـة الى الزنـدقة ، من الكفـر الى الايمـان ، من القمـة الى الحضـيض ٠

وهكذا نستعرض التراث الرفيع من شخصيات الاسـلام فلا نجده يشـذ عن هـذه القاعدة ، الا فى تفاصيل الخلاف ٠

فالحارث بن اسـد المحاسبى ، والحكيم الترمـذى ، وأبو طالب المكى ، والسـهروردى ، وابن عربى الشـيخ الأكبر ، والشـعرانى ، واضرابهم ٠٠ كلهم تردد العقل البشرى فى تقرير حقائقهم بين الصلاح والفسـاد ، أو بين الولاية والزندقة ، أو بين البنـاء والهدم ، اذا حسنت النية واستقامت عقلية البحث على منهج قويم من مناهج الفكر الرائد المحب للحقيقـة ٠

اما الفكـر الحاقد الحاسـد فانه يجمع على التجريح وعلى هـدم القيم الانسانية مهما بلغت من مراتب السـمو والجهـد العنيف فى سـبيل البنـاء والتعمير .

ولم يكن نصيب الامام الشـعرانى بأقل من انصـباء اخوانه السابقين، ولن يكون اقل من انصباء اللاحقين . فقد تركزت حملات الحاقدين عليه فوق رمية بالعظائم فى الدس فى كتبه بما يؤيد الفكرة التى يهدف اليها الحقـد المدمر الذى لا يدع قمة الا اهدرها دون وعى . ولكن الحق يعلو دائما ، والباطل يفضح نفسه بنفسه مهما آزرته الحجة التى تتداعى من تلقاء نفسها مع قليل من الفحص والتدبير .

الشعـرانى والتصوف الواعى :

لم يكن الامام الشـعرانى الا صوفيا على قـدر عظيم من الوعى والحركة والعمل الدائب لانقاذ مجتمعه مما حاق به من آلام وبلاء جره عليه نوع من حكم الدم الغريب الأهوج ، اذ اصطلى الشعب المصرى بنار الصراع الذى انتهى بقتل السلطان الغورى ودخول السلطان سليم الأول الى مصر ، وكان هناك فى مصر ثلاث :

اولها العلماء : وكان جل هـذه الطبقة مسالمـا للحاكم الدخيل ، طامعـا فى عطائه ونواله ، بائعا ضميره ومهدرا كرامة بنى وطنه فى سبيل مطامعه الشخصية ، وقـد عرض الامام الشعرانى لكثير من هؤلاء بالتشهير فى معركتهم مع الامام جلال السيوطى وغيره من العلماء المخلصين من أهـل الحـق .

وثانية الطبقات : الفلاحون ، وهؤلاء هم الكادحون الذين صورهم الامام الشعرانى فى كتابه « البحر المورود » بانهم كانوا يعملون طول العام ، ثم لا يكتفى الحاكم الغريب بأن يستولى على محصولهم من الزرع حتى يستولى على الجاموسـة والبقـرة .

وثالثة الطبقات هى طبقة الصوفية : وهى تمثل وزارة الارشـاد

فى عصرنا الحاضر ، على مستوى اكثر التصاقا بالشعب ، واشد تلاحما معه فى ازقته وحواريه ودروبه ومجتمعاته .

ومع تلاحم الصوفية بالأوساط الشعبية فانهم كانوا على صلة وثيقة بالعلماء جميعا .. بالمخلصين منهم لتنظيم خطط الاصلاح ومقاومة الحكام الدخلاء ، وبالمضللين منهم بالجرح والفضح والتشهير وكشف الخداع .

ولم يكن نقدهم للعلماء بأهون من نقدهم للصوفية الزائفين أنفسهم ، بل ام الضلال هو الضلال ، سواء أكان فى عالم رسمى دعى ، أو فى عين من أعيان القاهرة أو غيرها من البلاد ، أو متصوف دخيل .

وكان الشعرانى ابرز الشخصيات التى تصدت لحركة الاصلاح هذه فى أوساطها جميعا ، ولا سيما فى بيئة العلماء وبيعة الصوفية ، اذا اصبح الفلاحون وأرباب الصنائع فرائس للأدعياء من هؤلاء ومن رجال الحكم الغرباء عن البلاد .

ولقد الف الامام الشعرانى رسالة(١) فى هذا المعنى أودع فيها رأيه الصريح بما يدمغ أولئك الذين دسوا على كتبه ما يشوه مقاصده القويمة السليمة . قال رضى الله عنه وأرضاه :

« صار كل من أذن له شيخه القاصر بأن يستفتح الذكر بجماعة ، أو أذن له بأن يلقن الناس ، أو لم يأذن له ، أو سمع فى خلوته هاتفا من جنى أو شيطان ، يظن أنه ولى الله ، فيجمع له جماعة من العوام من أهل الصنائع وغيرهم . فتارة يجلس فى بلده ، وتارة يطوف البلاد ، ويكلف العباد فى هذه الأيام الكدرة النكدة على الخاص والعام ، وهو مع هذا يدعى أنه قائم فى الخلق مقام نبيهم ﷺ ، وكفى بذلك جهلا وسوء أدب .. أين المقام من المقام ، وأين الملائكة من الشياطين » .

---

(١) الرسالة مخطوطة تحت رقم ٧٧٧ تصوف بدار الكتب المصرية الجزء الأول من الفهرس .

ولعل هـذه المشـاعر النبيلة نحو الشـعب هى التى دفعت الامام الشعرانى الى تجربة اصلاحية كان مركزها زاويته التى يحتلها مسجده الآن ، حيث جمع فيها عـددا هائلا من طلبة العلم ورواد الطريق ، واقام بينهم نوعا من الحياة التعاونية ، واجرى عليهم ما فتح الله به عليه من صالحى الأغنياء كما كانت تجرى الأرزاق على طلبة الأزهر ، ولكن بروح الصفاء والحب لا بروح الصراع والقتال ، ولعل هـذه المشـاعر أيضا هى التى دفعته الى التفوق على الأزهر فى رعايته طلابه اذ شـمل برنامجه الاصلاحى تزويج الطلاب وتجهيزهم بكل ما يحتاج اليـه الأزواج حتى الاقامة كانت مكفولة للطلاب وزوجاتهم فى قسـم خاص من حجـرات الزاويـة .

ولا شـك فى أن هـذا الاتجاه هـو الذى أثار علماء الأزهر على الشعرانى حتى هموا بقتله ولم ينالوا منه شيئا .

ويوازن الامام الشعرانى بين دافع الضريبة للمماليك أو للعثمايين وبين المستغلين من أدعياء الصوفية فيقول :

« ولو كان من يدعى المشيخة من هؤلاء القاصرين يزن الخراج خمسة اضعافه ويتكلف مثل ذلك على الكشاف والقضاة ومشايخ العرب وقطاع الطريق ، ثم بعد ذلك كله يعاف قمحه ، وزرعه ، ولا يجـد له شـيئا يأكله هو وعياله ، وما ثم له ملجأ يلجأ اليـه سكت ولم يتكلم ، ولم يصر له قلب يتكلم به ، لا بحقيقة ولا بشريعة ، لكنه غره تهيئة الناس له ما يأكل وما يشرب هو وجماعته على السـالم من غير غرامة ، فكثر كلامه وصار يقول للخلق : لابد لكل انسـان يريد الطريق الى الله من اسـتاذ عارف بالله تعالى . فكيف وهو جاهل بالله ، ومن هو جاهل كيف يدعو الناس الى من لا يعرفه » ؟

ولئن كانت فكرة اتخاذ الشيخ ، وفكرة عدم تعدد الأشياخ لمريد واحد من اصول السلوك الصوفى المقرر منذ قديم ، الا أن هـذه الفكرة

عند مفكر متحرك واع كالشعرانى كانت قابلة للتديل والتطوير ٠

فهو يقول : « ان البلاء قد عم الحاضرة والبادية ، وصار سلوك الخلق بما هم فيه من البلاء على اختلاف طوائفهم ، فان فائدة السلوك تهذيب النفس وتمهيدها ، حتى تذل ٠

وتأمل الخلق تجد كل أحد نفسه مكسورة بحرفته ، لا سيما الفلاحين والتراسين والطحانين وغيرهم من سائر الحرف الشاقة ٠ فتجد الفاعل منهم فى آخر النهار تهدلت اغضاؤه ، وضعفت قوته الى الطرف الأقصى ، فاى شيخ من مشايخ هذا الزمان يقدر أن يوصل شخصا الى هذا الحد فى يوم بكلامه الذى يتكلمه » ٠

وكانه يقول : ان البلاء فى ذاته شيخ مرشد كامل الارشاد ، قويم المنهج ، لأنه يصل بالنفس الى ما يصل بها الأستاذ اليه من الحد من كبريائها وغلوائها والاعتزاز بقوتها ، وتوجهها نحو الراحات والرعونات ٠

والامام الشعرانى منفسخ الفكر لا يجمد عند حدود النقد الموضعى ، بل يتناول جوانب فكرته باحثا عن القيمة الحقيقية التى لا تتركز فى الفهم الخاطىء للعبادة ، حيث يقصرها بعض القاصرين على نوع من التفرغ الكسول الذى يهدر شطرا هائلا من النشاط البشرى فيقول :

« ولعمرى ان الفلاحين وأرباب الصنائع احسن حالا واقرب الى الله من هؤلاء المدعين لأنهم طول عمرهم فى أعمال شاقة فى نفع الخلق، وهؤلاء المدعون طول عمرهم ساعون فى ضرر الخلق ، لأنهم يطلبون التميز عن الخلق ، والتمهيد لطريقهم التى يطلبون » ٠

ثم يدق فى تنقيبه عن مظاهر الداء الذى استحكم فى قلوب المنحرفين من أدعياء التصوف ، وكيف انهم برعوا فى التنقيب عن حطام الدنيا ، وفى استنزافه من الجيوب فيقول :

« صار كل مدع ينصب له نقباء كذابين يقولون ان شيخنا هو صاحب

العصر ، وكل ذلك مصيدة للدنيا ، وتأمل مدحهم لشيخهم انما يكون دائما عند الأمراء والأكابر ومشايخ البلاد ونحوهم ممن يتوهمون حولهم البر ، فما ترى أحـدا يمدح شـيخه عند صنائعى أو فقير أو فلاح صعلوك ، لعلمه أنه ليس عنده شىء يأخذونه » .

ثم يتابع الامام الشعرانى فى اصراره الواعى هـدم هـذه الأصنام الكاذبة فقد استرعى نظره اصرار الكذبة من أدعيـاء المشيخة على الرفيع من السجاد فى صلاتهم ، فتناول هـذه الظاهرة بالنقد اذ يقول :

« كيف تطلب أن تكون من المؤمنين وانت طالب لأوصاف المتكبرين من الصلاة على السـجادة الرفيعة ، وربما دخلت المسـجد فسمعت الأذان ورأيت وقوف الناس للصلاة ثم سمعت هذا الكاذب ينادى : اين السجادة ؟

ولعمرى هل رأيت عبدا آبقـا طال عليه الهجران من سيده والغضب عليـه ثم يدعى للوقوف بين يديـه ، هل يشـتغل حينئذ بفرش سجادة »؟

ولا يكتفى الامام الشعرانى بالنقد وهـدم الأكاذيب والضلالات ، بل انه رسم الطريق الحق للمعارف الصوفية المجدية للفرد والجماعة فقال :

« انفع ما يشتغل العبد به من علوم الصوفية ما كان متعلقا بالأدب مع الله ومع خلقه ، وما عـدا ذلك فهو اشتغال بما لا يعنى » .

ولقد كرر الامام الشعرانى هـذا المعنى فى كتابه « آداب العبودية » وغيره من الكتب ، حتى لقد جعل هـذا الأدب مع الله تعـالى ومع خلقه هو مناط الثواب والعقاب وهـو محرر السـؤال فى القبر ، أما غيره من العلوم فلا ينبغى العلم بها الا بقدر ما يخدم هـذا الأدب الذى يشمل علم الفرائض والواجبات والسنن ، وعلم النفس المستقيمة فى أدائها ، وعلم القلب فى تصحيح العقيدة .

والذى دفع الامام الشعرانى الى التركيز على هـذه الفكرة أمران شاعا فى عصره حتى بلغا درجة من انحلال الفكر وانهيار المثل العليـا المشروعة فى الاسـلام وسلوكه .

اما أول الأمرين فهو اتجاه علماء المنقول نحو التعمق فى علوم النحو والصرف والبلاغة وغيرها من الآلات ـ وليس الغايات ـ حتى شرحوا المتون ووضعوا عليها الحواشى ، ثم التقارير ، ثم التقارير على التقارير ، وحتى تحول البحث فى النحو والبلاغة وغيرهما الى لون من التدريب العقلى على قضايا المنطق وحيثياتها ، فخرج بذلك عن اتقان الآلة ، وعم الجدوى العقلية والروحية فى السلوك جميعا ، ومن هنا افتتح الامام الشعرانى جبهة كفاح ضد الكثير من علماء النقل حينما قال :

« لن يسألك الله يا أخى عن النحو والصرف والبلاغة ، ولن تحتاج الى هـذه العلوم الا بقدر ما تصحح فهمك للكتاب والسنة . اما سـؤال الله لك فعن اشـياء اخرى غير هـذه » .

وثانى الأمرين انحراف الفكر الصوفى فى عصره وقبل عصره الى الكاشفات والمشاهدات واعتبارها اصل الفكر الصوفى ، واغفال قيمتها من حيث هى مقاييس لصحة السلوك او لفسـاده ، وشاع هـذا اللون من الحديث عن الكاشفات حتى سامها كل مفلس ، وتصدى لها كل افاق ، وانحرف مفهوم الولاية عند هؤلاء الأفاقين حتى التمسوه فى الوان من المرتزقة بما يشبه علوم الأسرار وهو فى الواقع خروج عن نطاق الشريعة جملة واحدة . حتى لقد تجرأوا على دس الوان من هؤلاء المنحرفين فى طبقاته الكبرى ليتخذوا من اسمه دليلا على صدق تلك الدعاوى المضللة .

استمع اليـه يقول : « يجوع احدهم جوعا مفرطا حتى ينحرف مزاجه فينظر شموسا ونجوما من شـدة الجوع ، فيظن ان ذلك من علامات الطريق» وما أمر الخلق الا بتعلم الآداب المتعلقة بمعاملة الله ومعاملة خلقه ، لا بان ينظروا شموسـا وجبالا وأودية واقمارا متوهمة .

ولعمرى اذا فرضـنا ان احدهم رآى من منتهى العرش الى منتهى النجوم واحاط علما بجميع ذلك ، وهل ذلك يقرب الى الله تعـالى ، وهل يستحق على ذلك جزاء من الجنة او غيرها ؟

ثم يهـدم مذهب هؤلاء الأدعياء من أساسـه اذ يقول : « فمثل من يعمل نفسـه شـيخا فى هـذا الزمان مثال فقيه فتح المكتب قبل الغروب وقعـد ينتظـر الأطفـال لقـرئهم ويعلمهم وكل الأطفـال انصرفوا من العصر » ·

ولا يغفل الشعرانى مناقشة هؤلاء كجزء من القضـية التى أثارهـا ضدهم ليفضح أكاذيبهم فيقول :

« نقول لأحدهم : من شرط من يلقن الذكر أن يكون وليا ، فهل أنت ولى ؟ فان قال : لا ، قلنا : لا يجوز لك أن تتصدر للمشيخة · وان قال: أنا ولى ، سألناه عن علوم الأوليـاء التى يتداولونها فيما بينهم فيما لم يسطر فى كتاب ولا طرق سمعه علم منها وهى كثيرة ذكرناها فى كتابنا المسمى « تنبيه الأغبياء على قطرة من بحر علوم الأولياء » ·

ويقول فى مناقشـة أخرى لهؤلاء الأدعياء : « علامة الجهل بطريق الله البروز للدعوة من غير داع الهى يدعوه الى ذلك · ويقال لهـذا المحجوب المدعى ذلك : أمرت بالبروز للدعوة على من هو مثلك أو دونك أو أعلا منك ؟ فان قال : على من هـو دونى · قلنا : لا تصلح لشىء من هـذا ، لأن من ذاق طعم الطريق لا يتصـور أن يرى الخلق دونه ، والذى لم يذق كيف يربى ويسـلك ·

وان قال : على من هو مثلى أو أعلا · قلنا : هـذا لا يصـدر من عاقل ، لأنهما لا يحتاجان اليك ·

وبهـذا الوعى هـز الامام الشـعرانى أولئك المتعاقدين المتواكلين الخاطىء الفهم هـزا عنيفا اذا يقرر أن التصوف عمل ويـد عليـا ، وليس فى التصـوف تواكل ولا اعتمـاد على الغير فى شـئون الرزق · فيقـول :

« لا يصلح أن يسمى شـيخا الا الفلاحون وأهل الصـنائع ، لأنهم

لأنهم هم الذين يطعمون الشيخ فالشيخ مكتوب عند الله من جملة عيالهم » .

الدس فى كتب الشعرانى :

وبمثل هذا الوعى الرفيع تناول الشعرانى قضايا عصره واندمج فى صفوف الشعب يلتمس آلامه ، ويكشف عن أمراضه الاجتماعية ، وينقد ويرسم الطريق للاصلاح ، حتى كان هدفا لسهام طائشة من العلماء وادعياء التصوف كان اخطرها الدس فى كتبه ولا سيما فى طبقاته الكبرى .

وقد اعتمد الدساسون على استغلال رسيىء لأصلين هامين من أصول التربية الصوفية هما : كراهة الجدل والاعتراض بين المريدين والشيوخ ، ونظرية الأحوال .

أما كراهية الجدل فانما هى بالنسبة للمحققين من الشيوخ المشهود لهم باستقامة السلوك ووضوح الطريقة ، وهضم النفس ، والقيام على أصول الشريعة وسننها وفلاح المريدين على أيديهم ، ولا يجوز أن ينسحب هذا الحكم على أى دعى دخيل افاق يستأ كل بدينه وبالمثل العليا المشروعة . والا فقد ناقش الشعرانى نفسه هؤلاء الأدعياء ، وقطع حجتهم على الصورة التى عرضناها آنفا .

واما نظرية الأحوال ، فما الأحوال الا مشاعر معينة تنشأ فى باطن الانسان من نتائج العلم أو العلم أو من نتائجهما معا . وتكون اما قبضا ، واما بسطا واما خوفا ، واما اصطلاما ، واما سحقا أو محقا ، أو غير ذلك من الأحوال المقررة والبينة الأمارات والعلامات فى مراجع السلوك .

أما الحال الذى لا يكون نتيجة علم أو عمل فانه محض افتراء ودجل كاذب . على ان هذه الأحوال لا يمكن ان تخرج أصحابها عن قانون الشريعة ، لأنها فى الله ومن الله ، ولا يمكن أن يدفع الله طلابه الى

هـدم شريعته ، حتى يتخذ اعداؤه من سلوكهم هـذا حجة على صحة التحليل من الشريعة أحيانا وأحيانا على الصـورة التى رسمها هؤلاء الدساسون فى الطبقات الكبرى .

ومن الدساسـون فى الطبقات نماذج من أكابر العارفين مجهولين لأهل العلم بالطبقات ، ونسبوا لأحدهم أنه كان يقف على قارعة الطريق حتى اذا قدم أحـد مشـايخ البلاد أو التجار راكبـا على ظهر حمارته اعترضه الشيخ وراوده على اتيان الفاحشـة فى الأتان ، فاذا وافق على المبدأ سـمح له الشيخ بعد انهاء مهمته بالسير ومواصلة السفر ، واذا أبى تسمرت اتانه بالأرض فلا تستطيع حراكا .

ومن عجيب السبك أن الدساسـين نسبوا الى الامام الشعرانى أنه سأل شيخ الاسـلام زكريا الأنصارى وسيدى محمد بن عنان وغيرهما من كبار العلماء والأوليـاء عن هـذه الظاهرة فقالوا : ان هؤلاء المشايخ يخيلون للناس هـذه الأعمال وليست لها حقيقة .

فلا عقلية الشعرانى ، ولا عقلية شيخ الاسـلام الأنصارى تسيغ مثل هـذا التعليل السـاقط ، ولا عقليات القراء من أى نوع كانوا تسيغ أن تكـون شريعة سماوية فيها هـذه البهلوانية الفارغة ، وهـذه الألاعيب السحرية التافهة ، والا فالكل سينخلع من أحكام الشريعة فى لمحة عين بحجة التخييل وأمور السيمياء .

فالشـعرانى يكتب فى مقدمة طبقـاته الكبرى : أنه لم يذكر فيهـا الا ما ينهض همة المريد الى الله ، فلا يعقل اطلاقا أن يعرض علينا هـذه النماذج باعتبارها حافزا للهمة نحـو الله . ثم يكتب رسـالته المخطوطة التى عرضنا نماذج منها ليهدم بها ضلال المضلين فى أمور هى أقل من اتيان الفاحشـة مع الحمير .

ونموذج آخـر كان يلوط بالعبيد ، وآخر ذهب الى بيت يطلب يـد كريمة منه للزواج بها ، فكشف عن عورته أمامها وأمام الحضور ، وأمرها

بتفتيشها حتى لا تعود عليه باللائمة بعد ذلك قوة أو عجزا . ونماذج غير هـذه كثيرة فى منتصف الطبقات .

ونعود فنقول : ان سلوك الامام الشـعرانى وكتبه ودعوته كلها تنآى عن هـذه الانحلالات الهادمة ، وتبرأ منها وممن دسـها عليه ، ثم انه لم يغفل التنبيه فى غير موضع من كتبه على أمر هؤلاء الدساسين ، وفى كتاب الطبقات الصغرى هـذا نبه على شانهم فى غير موضع أيضا .

ومن عجيب الأمر أن تبقى تلك المدسوسـات فى كتب الشعرانى الى الآن ، ويجبن الناشرون والمحققون عن حذفها حتى تعود الى الطبقات قيمتها العلمية النـادرة .

الطبقات الصغرى

هى امتداد للطبقات الكبرى حتى يصل تاريخ الرجال الى عام ١٠٠٣ من الهجرة ٠ وهى تنقسم الى :

١ ـ تاريخ من لقيهم وقرا عليهم او اخذ عليهم شيئا من الطريق ٠

٢ ـ من لقيهم ولم يقرأ عليهم ولم يأخذ عليهم شيئا من الطريق من اهل المذاهب الأربعة ٠

٣ ـ جملة من الأحياء المعاصر له مات بعضهم بعد تدوين سيرته فاثبت تاريخ وفاته فى نسخته ٠

وقال : انه لم يسبق الى تدوين سيرة الأحياء ، وانه عرض سيرتهم والله أعلم بما ينتهى اليه حالهم ، ولكنه تحرى من صدق السيرة ، وصحة القصد ، واستقامة الطريق فيهم ما ينبىء بحسن الخاتمة ان شاء الله ٠

وقال : انه حذف بعض التراجم ، لأن اصحابها لم يكونوا علموا بتدوين سيرهم ، ثم لاموه على اهمالهم ، فلما علم تشوف نفوسهم الى الظهور حذفهم ، لأنهم لا يستحقون عرض سيرهم كنماذج يجتذى على منوالها السالك ، ما دامت نفوسهم حية تتطلع الى كاذب الشهرة على هذا الوجه ٠

ومن هنا لا يعقل مطلقا أن ينشر من السير لأولئك الذين يلوطون بالعبيد ويأتون الفواحش من الحمير بأى حال ٠

اهمية الكتاب :

ترجع اهمية هذا الكتاب الى أمور نجملها فيما يلى :

١ ـ يؤرخ للحياة الاجتماعية فى عصر المماليك والعثمانيين ولا سيما فى مصر ويكشف عن كثير من المظالم التى وقعت على الشعب فى ذلك العصر ، كما يوقفنا على الحياة الداخلية لكثير من طبقات الشعب ٠

٢ ـ يوقفنا على نماذج راقية من عفة العلماء عن الشبهات ٠ حيث رفضوا أن يعيشوا من معاليم القضاء أو الامامة أو غيرهما من وظائف الدولة آنذاك لعدم ثقتهم بحل الأموال المغتصبة من ايدى الكادحين ٠

٣ ـ يصور لونا من الصراع بين العلماء والولاة ، وأهمة ما جرى بين جلال الدين السيوطى وأحد القضـاة اللاصقين برجال الحكم ٠

٤ ـ يصور الحركة العلمية فى عصره ، وحرية الدرس والتلقى ، واحتسـاب العلماء لتعليم الطـلاب فى سـبيل الله ، وانفـق بعضهم على طـلابه ٠

٥ ـ يصـور اهمال الحكم للمخلصين من العلماء حتى أن بعضهم كان يختصر ويشـكو من أن أحدا لم يكلف نفســه مجرد السؤال عنه ٠

٦ ـ والكتــاب مع ذلك صورة لحيــاة الشعرانى نفســه ، اذا كان متتبعـا للحركة العلمية فى عصره ، باحثـا عن العلماء بصحبهم ويأخذ عنهم ويقرأ عليهم ، ولا يدع فرصــة تفلت من يـده مهما كلفه ذلك من مشقة فى سـبيل الأخذ عن كبــار العلماء ، ولا سـيما شـيخ الاسـلام زكريا الأنصـارى وغيره ٠

٧ ـ تأريخ لا يوجد فى كتــاب لحياة علماء الأزهر فى عصره ، وما كانوا عليه من تقشف وزهــد فى الحيــاة ومظاهرها ٠ كما يوقفنا على كثير من مجتمعات العلم غير الأزهر فى ذلك العصر ٠

٨ ـ الكتــاب يفسر كثيرا من الظواهر الصوفيــة تفســيرا يتمشى مع العقل وأهمها رؤية النبى ﷺ ويقظــة والأخذ عنه ، اذ قال : انهــا رؤية ليست كرؤية أحدنا الآخــر ، وإنما هى رؤية مثالية نورية فى عالم الفهوانية الذى يشبه حالة ما بين النوم واليقظة ، ولا شىء غير ذلك ٠

٩ ـ وأخيرا فالكتاب جزء من تاريخ مصر والعالم الاسـلامى فى فترة من الزمان توالت فيه قطائع العثمانيين والمماليك ، ووقف المنافقون الى جوارهم وكــافح المخلصــون بروح الايمــان التى لا تلين حتى انتصروا على عــدوهم ٠

رحم الله الامام الشعرانى ، وهيـأ اسلوب نشر تراثه الذى لا زال حبيسـا فى خزائن المخطوطات ، ونفع المسلمين بكتابه هــذا الذى ينشر لأول مرة ، وجعله خالصـا لوجهه ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وتابعيه الى يوم الدين ٠

القاهرة فى ربيع الأول ١٣٩٠ هـ (مايو ١٩٧٠ م) ٠

عبد القادر أحمد عطـا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . وبعد : فهذه طائفة من شيوخ عصرنا ممن لقيناهم ، وقرانا عليهم شيئا من العلم أو اخذنا عليهم او اخذوا علينا الطريق ممن لم نذكرهم فى لواقح الأنوار القدسية فى طبقات العلماء والصوفية . وجعلناها فصولا ثلاثة . الأول هو هذا . والثانى فيمن لقيناهم ولم نقرأ عليهم ، والثالث فيمن لقيناهم ولا زالوا أحياء والله الموفق .

الفصل الأول

منهم :

شيخنا وقدوتنا الى الله تعالى
الشيخ جلال الدين السيوطى
رحمه الله تعالى

كان رضى الله تعالى عنه يقول : قد اشاع الناس عنى أنى ادعيت الاجتهاد المطلق كأحد الأئمة الأربعة وذلك باطل عنى ، انما مرادى بذلك : المجتهد المنتسب . فان الاجتهاد نوعين .

احدهما : المجتهد المطلق المستقل ، وهذا النوع قد فقد منذ القرن الرابع [الهجرى] ، ولا يتصور وجوده الآن . ولم يدعه أحد بعد الامام الشافعى الا ابن حجر خاصة .

النوع الثانى : المجتهد المنتسب المطلق . وهذا هو المستمر الآن [و] الى ان تقوم الساعة ، وفى اصحاب الامام الشافعى من هذا النوع كثير : ابن المزنى ، وابن سريج ، والقفال ، وابن خزيمة ، وابن الصباغ ، وامام الحرمين ، ابن عبد السلام ، وتلميذه ابن دقيق العيد ، والشيخ تقى الدين السبكى ، وولده عبد الوهاب ، فانه كتب مرة لنائب الشام : انا مجتهد الدنيا على الاطلاق ، [و] لا يقدر احد (أن) يرد على هذه الكلمة ، وكل هؤلاء مجتهدون منتسبون .

وكذلك القول فى اصحاب الامام مالك ، كابن وهب وأضرابه ، بلغوا الاجتهاد المطلق على مذهب الامام مالك . وكـذا ابو يوسف ومحمد [من أصحاب الامام الأعظم] بلغا الاجتهاد المطلق .

وقال الشيخ جـلال الدين رضى الله عنه : ومع ذلك فلم يخرج هؤلاء عن قول امامهم(١) . فمن انكر الاجتهاد مطلقا فهو جاهل .

يا أخى على ما ينقله بعضهم عنه فى بيـان حكم الاجتهاد ، وقد كان الشيخ جلال الدين رحمه الله تعالى على قـدم السلف الصالح من العلماء العاملين ، وكان من الصادقين(٢) ، وكان له مكاشفات غريبة ، وخوارق وعلوم جمة ، ومصنفات جيدة كثيرة الفوائد .

وأرسل(٣) الى ورقة مع والدى باجازته لجميع مروياته ومؤلفاته ، ثم لمـا جئت الى مصر قبل موته اجتمعت به مرة واحدة ، فقرات عليه بعض احاديث من الكتب الستة ، وشيئا من المناهج فى الفقه تبركا ثم بعد شهر سمعت ناعية ينعى موته ، فحضرت الصـلاة عليه عند الشيخ احمد الأبار ، يعنى فى الروضـة عقب صلاة الجمعة ، وفى سـبيل أم المؤمنين عند الجامع الجديد بمصر القديمة(٤) رضى الله عنه .

وقـد جمع الشـيخ عبد القـادر الشـاذلى رضى الله عنـه بعض مناقبـه فى جـزء ، وها أنذا أذكـر محض عيونه(٥) ، فاقول وبالله التوفيـق .

---

(١) فى ب ، حـ : عن تبعيتهم لامامهم .
(٢) فى ب ، حـ : وكمل العارفين .
(٣) فى ب ، حـ فأرسل . وفى ب ، حـ ارسل .
(٤) فى ب ، حـ : العتيقة .
(٥) فى حـ : وها أنا ملخص لك عيونه .

كان الشيخ جلال الدين رحمه الله تعالى مجبولا على الخصال الحميدة فى العلم والعمل ، لا يتردد الى أحد من الأمراء والملوك ولا الى غيرهم مدة حياته رضى الله عنه ، وكان يظهر كل ما انعم الله عليه [به] من العلوم والأخلاق ، ولا يكتم منها الا ما أمر بكتمه ، عملا بقوله تعالى : « وأما بنعمة ربك فحدث » ، وكان من لا يعرف مقصده يقول : فلان عنده دعوى عظيمة وسيأتى ما يشهد له أوائل خاتمة الكتاب ان شاء الله تعالى .

وكان رضى الله عنه يفتى بتحريم الاشتغال بعلم المنطق وكتبه ، وقام عليه جماعة ، فقال : وهذه الواقعة من أول وقائعى التى قام على الناس فيها .

وكان رضى الله عنه يقول : ينبغى للمدرس أن يقرأ : تبارك الذى بيده الملك ، وسورة الاخلاص ، والمعوذتين وفاتحة الكتاب كلما يريد أن يدرس ، وينقل فعل ذلك عن شيخ الاسلام (علم الدين)(١) صالح البلقينى رضى الله عنه .

وكان يقول : أخذت العلم عن ستمائة نفس وقد نظمتهم فى أرجوزة ، قال : وهم أربع طبقات :

الأولى : من يروى عن أصحاب الفخر بن النجار ، والشرف الدمياطى ، ووزيره ، والحجار ، وسليمان بن حمزة ، وابن أبى نصر الشيرازى ، ونحوهم .

الثانية : من يروى عن السراج البلقينى ، والحافظ بن ابى الفضل العراقى ونحوهم ، وهم(٢) دون التى قبلها فى العلو .

---

(١) ساقطة من أ .

(٢) فى ب : هى .

الثالثة : من يروى عن الشريف ابن الكويك ، والجمال الجيلى(١) ونحوهم وهم دون الثانية ٠

الرابعة : من يروى عن ابى زرعة العراقى ، وابن الجـوزى ، ونحوهما ٠ وهـذه لتكثير العـدة ، وتيبير الحجم(٢) وصنف رحمه الله تعالى لـمـا حج (وجاور)(٣) كراسـا على نمط عنوان الشرف فى يوم واحد ، يحتوى على نحو ومعانى وبديع ، وعروض ، وتاريخ ٠ وكان رضى الله عنـه يقول : لـمـا حججت شربت ماء زمزم على نيـة ان أكون فى الفقه كالشـيخ سراج الدين البلقينى ، وفى الحفظ فى الحديث(٤) كالحافظ بن حجـر ٠

وكان يقول : انقطع املاء الحـديث بالديار المصرية بعد الحافظ ابن حجر عشرين سنة ، فابتدأت فى أملاء الحديث مستهل سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة فى جامع ابن طولون(٥) ٠ واول من أملى الحديث فيه الربيع بن سليمان [الجيزى] صاحب الامام الشـافعى رضى الله عنـه قال : انما اخترت الاملاء يوم الجمعة بعد الصلاة اتباعا للحفاظ المتقدمين، كالخطيب البغدادى ، وابن عسـاكر ، بخلاف ما كان عليه العراقى وولده وابن حجر ، فانهم كانو يملون يوم الثلاثاء ٠

قال : وكانت بداية افتـائى سنة احـدى وسبعين وثمانمائة ، وخالفت أهـل عصرى فى خمسـين مسألة ، فألفت فى كل مسألة مؤلفا أثبت فيه وجـه الحـق(٦) ٠

---

(١) فى أ : البجلى ٠

(٢) فى ب : وتكثير الحجـة ٠

(٣) سـاقطة من ب ، جـ ٠

(٤) فى ب ، حـ فى حفظ الحديث ٠

(٥) فى حـ : ابن طولون ٠

(٦) فى ب ، حـ بينت فيه وجه الحديث ٠

قال : ولما بلغت مرتبة الترجيح لم اخرج فى الافتاء عن ترجيح النووى ، وان كان الراجح عندى خلافه .

(قال)(١) ولما بلغت مرتبة الاجتهاد المطلق لم اخرج فى الافتاء عن مذهب الامام الشافعى رضى الله عنه ، كما كان القفال يفتى بعد بلوغه درجة الاجتهاد المطلق بمذهب الامام الشافعى ، لا باختياره .

و [كان] يقول : للسائل انما سألتنى(٢) عن مذهب الامام — لا عن صحة مؤلفاته — [ولا ع] عندى أنا من العلم . مع أنى لم اختر شيئا خارجا عن المذهب الا شيئا يسيرا جدا ، وبقية ما اخترته هو (من)(٣) المذهب ، اما قولا آخر للشافعى قديما أو جديدا ، أو وجها فى المذهب لبعض اصحابه ، وكل ذلك راجع الى المذهب ، وليس بخارج عنه .

وله من المؤلفات أربعمائة وستون مؤلفا مذكورة فى فهرست من عشر مجلدات الى ما دونها . وانتشرت (مؤلفاته)(٤) فى البلاد الحجازية والشامية ، والحلبية والمصرية ، وبصرى والروم ، وبلاد التكرور والمغرب والهند وغيرها .

وكان رضى الله عنه يقول : مما انعم الله به على(٥) هو : أن الجماعة انتصبوا عدواتى وآذونى .

وذلك ليكون [لى] أسوة بالأنبياء والمرسلين . وكان الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه يقول : لما اعلم الله تعالى ما سيقال فى أنبيائه واصفيائه

---

(١) ساقطة من أ .

(٢) فى أ : السائل انما سألنى ..

(٣) ساقطة من أ .

(٤) ساقطة من أ .

(٥) فى ب : على به .

من الـزور والبهتـان قضى على قـوم بالشـقاء ، فنسـبوا له زوجـة (ووالدا)(١) ، ونسبوا للأنبياء السحر والجنون(٢) ، حتى اذا ضاق ذرع الولى من كلام فيه نادته هواتف الحق : أما ترضى أن تكون لك أسوة بالأنبياء فيما نسب الى واليهم من البهتان ، فهنالك(٣) يسكن قلب الولى والحمد لله رب العالمين ٠

وكان يقول رضى الله عنه : قـد رزقنى الله تعالى التبحر فى سبعة علوم : التفسـير ، والفقه ، والحديث ، والنحو ، والمعانى ، والبيان والبديع ، على طريقة العرب والبلغاء ، وعلى طريقة المتأخرين من العجم وأهل الفلسفات(٤) ودون هـذه السـبعة فى معرفة أصـول الفقـه ، والحديث ، والتصريف ، والانشـاء ، والترسـل ، والقراءات ، والطب ، والحسـاب ٠

وكان رضى الله عنـه يقول : قـد بلغت مقامات الكمال فى جميع آلات(٥) الاجتهاد المطلق المتسبب ، وصرت بذلك متحدثا بالنعمة ، لا فخورا بالدنيا ٠ وأى قـدر للدنيا حتى يطلب تحصيله بالفخر وقـد آذن(٦) الرحيل ، وبدا الشيب ، وذهب العمر ٠ ولو أنى أردت أن أكتب فى كل مسألة مصنفا يحتوى على أدلتها ثم آدابها وتفاصيلها وفروعها لفعلت ٠ وذلك كله بفضل الله تعالى ، لا بحولى وقوتى ٠

وكان يقول : قـد استنكر جماعة بلوغى مرتبة الاجتهاد المطلق فى

---

(١) سـاقطة من ب ، حـ ٠
(٢) فى ب : ونسبوا الأنبياء الى السحر ٠
(٣) فى ب و حـ : فهناك ٠
(٤) فى ب ، حـ : الفلسـفة ٠
(٥) فى ب ، حـ فى جمعى آلات ٠
(٦) فى ب : قرب الرحيل ٠

الحديث والفقه والعربية ، لظنهم انفرادى بذلك بعد الأئمة المجتهدين .
وغاب عنهم انها كانت مجتمعة فى الشيخ تقى الدين السبكى رضى الله
عنه ، وقبله جماعة اتصفوا بها وبالاجتهاد المطلق لكن فى الفقه فقط .
وأما الجامعون بين هـذه الثلاثة علوم فقليل ، ولم تجتمع فى أحد بعد
السـبكى غيرى .

قال : ولا يظن ان من لازم المجتهد المطلق ان يكون مجتهدا فى
الحديث ، مجتهدا فى العربية لأنهم قد نصبوا على انه يشترط فى الاجتهاد
المطلق التبحر فى العربية ، بل يكتفى فيها بالتوسط ، ونصبوا فى الحديث
[على] ما يؤدى الى مثل ذلك .

والاجتهاد هو الرتبة التى اذا بلغها الانسـان سمى فى عرف المحدثين
حافظا . وقـد وصف بالاجتهاد المطلق من لم يوصف بالحافظ ، كالشيخ
أبى اسحاق(١) الشيرازى ، وابن نصر الصباغ ، وامام الحرمين ، والغزالى
وقـد روى هؤلاء الثلاثة فى مؤلفاتهم أحاديث احتجوا بهـا وهى منكرة،
وقـد نبه عليها ابن الصلاح وغيره كالنووى .

فعلم أن خفاء بعض احاديث لا يقدح فى مقام الاجتهاد ، اذ ليس
من شرط المجتهد أن يحيط علما بكل حديث ، وقد علق الشـافعى رضى
الله عنه الأخذ بعدة أحاديث خفيت عليه(٢) فى صحتها ، وبعده صحت
عند غيره ، بل وقع ذلك لأكابر الصحابة ، كعمر بن الخطاب رضى الله
عنه ، كان يقضى بأشياء تخالف الحديث حتى يحدثوه بها ، فيرجع بها ،
فيرجع عن اقضيته .

قال : وقـد بلغ الشيخ أبو محمد الجوينى رتبة الاجتهاد المطلق ،
والف كتابه المحيط ، والتزم فيه الوقوف مع الحديث ، وعـدم التقيد

---

(١) فى ا : وابن اسـحاق الشيرازى .
(٢) فى ا : الأخذ بعدة الأحاديث التى خفيت عليه .

بالمذهب ، فوقع للامام البيهقى منه ثلاثة اجزاء فى حياة المصنف ،
بالمذهب ، فوقع للامام البيهقى منه ثلاثة اجزاء فى حياة المصنف ، فتعقب فيه أوها ما حديثية ، وارسل بذلك الى الجوينى ، من جملتها : الشيخ أهل ان يجتهد ويتخير ، ولكن يحتاج الى ثبوت الحديث الذى [احتج] به ، فانه غير ثابت ، فانظر كيف سلم له رتبة الاجتهاد مع خفاء (أمر)(١) تلك الأحاديث عليه ٠

قال : وكان سراج الدين البلقينى مجتهدا مطلقا ، وكان من حفاظ الحديث ، ووصفه تلميذه ابن حجر بالحفظ ، وذكره فى طبقات الحفاظ ، ولكن لم يلتزم المرتبة العليا من الحفظ والتعديل ، بل كان معاصره الحافظ ابو الفضل العراقى احفظ منه ، داخلا فى الحديث والفقه ، وكانت عربية البلقينى وسطى ، واما بقية من جاء من المجتهدين من السبكى الى اليوم فلم يكن فيهم من بلغ رتبة البلقينى فى الحديث(٢) ٠

واما قبل السبكى فاجتمع الاجتهاد فى الأحكام والحديث لخلق كثير منهم : ابن تيمية ، وابن دقيق العيد والنووى وقبله ابو شامة وقبله ابن الصلاح ٠ أما قبله من المتقدمين فكثير جدا ٠

واما الاجتهاد فى العربية فلم يكن بعد ابن هشام من يصلح لأن يوصف به غيرى الا ما بلغنى عن العمادى ٠ وقبل ابن هشام خلائق لا يحصون ، كأبى حيان ، والآمدى ، وابن الصائغ ، وابن مالك ٠ قال : وغالب الناس لا يعرفون الاجتهاد فى الحديث والعربية ، وانما يعرفون الاجتهاد فى الشريعة فقط ٠

وقد قال الامام الرازى فى المحصول ما نصه : المعتبر فى الاجماع و [فى] كل فى من كان من أهل الاجتهاد فى ذلك ولم يكونوا من أهل

---

(١) ساقطة من ب ، حـ ٠
(٢) فى ب ، حـ : والإيرى ٠

الأجتهاد فى غيره . وألف الشيخ كتبا فى بيان شروطها الاجتهاد المطلق منها : ارشـاد المهتدين الى نصرة المجتهدين ، ومنها تيسير الاجتهاد وماله من الاسناد ، والد على من اخلد الى الأرض وجهل أن الاجتهاد فى كل عصر فرد .

واطال فى ذلك ثم قال : فالعبرة فى مسائل الكلام بالمجتهد فى الكلام، وفى مسائل الفقه بالتمكن والاجتهاد [فيه] . فالعبرة بأهل الكلام اذا تكلموا فى الفقه ، لا بـ [أهل] أصول الفقه اذ تكلموا فى علم الكلام، بل من تمكن فى الاجتهاد فى الفرائض دون المناسك يعتبر وثاقته وخلافه فى الفرائض دون المناسك وقال ابو الحسن البصرى : ولا يجوز التقليد فيه أصول الفقه ، كما لا يجوز فى أصول الدين ، ولا يكون كل مجتهد فيه مصيبا ، بل المصيب واحـد ، بخلاف الفقه فى الأمرين ، قال : والمخطىء فى أصول الفقه معذور غير ملوم .

فهذه ثلاث قواعد خالف فيها الفقه ، أصول الفقه (لأن أصـول الفقه)(١) ملحق بأصول الدين ، ومطالبه قطعية . انتهى .

فانظر يا أخى الى كـلام الامام ابى الحسن البصرى كيف اطلق الاجتهاد والمجتهد فى أصول الفقه وسـائر الفنون .

قال : ويشكل على هـذه الاجتهادات الثلاث . فأما الاجتهاد فى العربية فهو أن يحيط بنصوص أئمة الفن ، من سيبويه الى زماننا هـذا ، ويحفظ غالب شعر العرب يحتج بأشعارهم العربية ، ولا يضر خفاء بعض ذلك عليه ، وليس المراد حفظها عن ظهر قلب ، وانما المراد أن يكون له اطلاع على دواوينهم بحيث يعرف محل الاستدلال بذلك من الكتب ، ويكون مع ذلك محيطا بقواعد النحاة التى بنو تصرفاتهم عليهـا ، غير القواعد المذكورة فى واضحات الكتب ، فان تلك كالأصول لهذه القواعد ،

(١) ما بين الحاصرين سقط من ب ، حـ .

وهـذا لا يعرفه الا متبحر فى الفن قال : وقد بالغت فى هـذه القواعد المذكورة فى واضحات الكتب ، فان تلك كالأصول لهذه القواعد ، وهذا لا يعرفه الا متبحر فى الفن • قال : وقـد بالغت فى هـذه القواعد كما تجمع أصول (النحو على مصطلح قواعد النحو)(١) والفقه •

أما الاجتهاد فى الحديث والفقه فقال الحافظ المزى(٢) : اقل مراتب الحافظ ان يكون الرجال الذين يعرفهم ، ويعرف تراجمهم وبلدانهم أكثر من الذين لا يعرفهم ليكون الحكم للغالب ـ وأما ما يحكى عن المتقدمين من قولهم : كنا لا نعد صاحب حديث من لا يكتب عشرين الف حديث فهو بحسب زمانهم •

وكان الحافظ ابن حجر يقول : للشروط(٣) التى اجتمعت فى الآن أسمى حافظا ، وهى : الشهرة بالطلب ، والأخذ من أقوال الرجال ، والمعرفة بالجرح والتعـديل ، والمعرفة بطبقات الرواة ومراتبهم ، وتمييز الصحيح من السقيم حتى يكون ما يستحضره من ذلك أكثر مما لا يستحضره، مع اسـتحضار الكثير من المتون فهـذه الشروط من جمعها فهو حافظ •

قال : الحافظ ابن حجر يحفظ ما ينوف على مائتى الف حديث ، وكان الشيخ عثمان الديمى يحفظ عشرين الف حديث • وأما أنا فأحفظ مائتى الف حديث ، ولو وجدت أكثر لحفظت • ولعله لا يوجد على وجه الأرض أكثر من ذلك(٤) •

---

(١) ما بيد الحاصرين سقط من أ ، حـ •

(٢) فى الأصـول : المزنى • والمعروف بالحفظ فى الحديث هو المـزى •

(٣) فى الأصول : الشروط •

(٤) بل وجد ، فقد روى ابن الجوزى باسناده ان أبازرعة الرازى قال : أحفظ مائتى الف حديث كما يحفظ الانسان قل هو الله أحد ، وفى المذاكرة ثلاثمائة الف حـديث انظـر (الحدائق لابن الجوزى جـ أ ورقة ٦) مخطوط ٣١٦ حديث دار الكتب المصرية •

وأما الاجتهاد فى الفقه فقد الفت فيه كتبـا ٠

ووله رضى الله عنه سبع سؤالات أوردهـا على علماء العصر ، ولم يجب عنها احـد ، وهى : ما تقول علماء العصر المدعون الفقـه والعلم فى هـذه الأسئلة :

[السـؤال الأول] : ا ـ ب ـ ت ـ ث ـ الى آخرها (ما هى هـذه الأسماء ، وما إسـمها)(١) ، وهل هى اسماء جنس ، أو اسماء عناصر ٠ فان كان الأول فمن اى الأجناس هى ؟ وان كان الثانى فهل هى شخصية أو جنسية ٠ فان كان الأول فهل هى منقولة أو مرتجلة ، وان كان الأول فمم نقلت ، أمن حروف ام افعال او اسماء اعيان أم مصادر ام صفات ٠ وان كانت جنسية فهل هى من أعلام الأعيان أو المعانى ٠

السؤال الثانى : من وضع هـذه الحروف ، وفى أى زمن وضعت ، وما مستند واضعها ، هل هو العقل أو النقل ؟

السؤال الثالث : هل هـذه الحروف مختصة باللغة العربية ، ام عامة المذاكرة ثلاثمائة الف حديث ، انظر (الحدائق لابن الجوزى حـ ا ورقة ٦) فى جميع اللغـات ؟

السؤال الرابع : هل الألف والهمزة مترادفان اولا ؟ وعلى الثانى فما الفرق ؟ وأيهما الأصل ؟

السـؤال الخامس : لم اجمـع علماء اللغـة والعـدد وغيرهم من المتكلمين على المفردات على الابتـداء بحرف الهمزة ، وهل هـو أمر اتفاقى ، أم لحكمة ؟

السؤال السادس : كلمات (ابجد ٠ هوز) الى آخرها ٠ هل هى مهملة أم مستعملة ؟ وما عنى بها ، وما اصلها ، وكيف نقلت الى المراد

---

(١) ما بين الحاصرين سقط من ب ، حـ

بها ، وما ضبط الفاظها ؟

السؤال السابع : ما حكمها فى الابتداء والوقف والمنع من الصرف والتذكير والتأنيث والاعراب واللفظ والرسم وعند التسوية بها ، وما حكمها شرعا عند نقشها على ثوب أو بساط أو حائط أو سقف ، هل لها من الحرمة ما للحروف المجتمعة أم لا .

فمن أجاب عن هـذه الأسئلة فهو من الرجال ، والا فلا مزية له على الأطفال ومن عجز عن الف ، باء ، تاء ، فلا ينبغى له أن يقرر أبحاثا انتهى ما نقلته من خطه رضى الله عنه .

وكان الشيخ العلامة شمس الدين الدواوى(١) يقول : رأيت الشيخ وقـد كتب فى يوم واحد ثلاث كراريس تأليفا وتحريرا ، وكان مع ذلك يملى الحديث ويجيب عن المتعارض منه بأجوبة حسنة من غير تكلف .

وكان رضى الله عنه يقول : ما اجبت قط عن مسألة جوابا الا واعددت لها جوابا بين يدى الله تعـالى أن سئلت عنه . وكان اذا عارضه أحد فى أجوبته يردفها بأجوبة أخرى حتى يبهر العقول .

وغسل قبل موته كتبا لا يعلم أهل عصره لها نظيرا . وسرق بعض المعاصرين له كتابا ونسبه الى نفسه ، ولم يكن عنده الشيخ غيره ، فألف فى ذلك كتابا سماه « البارق فى قطع يد السارق » . ثم قال : لعمرى ان المؤلف انما يطلب ثوابه من الله تعـالى ، فكيف يطلب أجـره على ما لم يعلمـه .

وكان رضى الله عنه اعلم أهل زمانه بعلوم الحديث وفنونه ، حافظا متقنا ، يعرف غريب ألفاظه ، واستنباط أحكامه ، وقـد بيض ابن حجر عـدة أحاديث لا يعرف من خرجها ولا مرتبتها . فخرجها الشيخ وبين

---

(١) هو تلميذ الجلال السيوطى ، ومؤلف كتاب طبقات المفسرين، ولا يزال مخطوطـا .

مرتبتها من حسن وضعيف وغير ذلك ٠

واخبرنى الشيخ سليمان الخضيرى الصوفى رضى الله عنه قال : أرسل شيخ الاسلام جلال الدين الأوجاقى معى عدة أحاديث بيض لها الحفاظ ، ولم يعرفوا مرتبتها الى الشيخ جلال الدين ، فسلب رواتها ، فردهم الشيخ الى من لهم رواية عنه ، وبين مرتبتها ، فذهب شيخ الاسلام اليه ، وقبل يده وقال : والله ما كنت اظنك تعرف شيئا من ذلك ، فاجعلنى فى حل ، فطالما تغديت وتعشيت بلحمك ومك ٠

واخبرنى الشيخ سليمان ايضا قال : بينا انا جالس فى الخضرية على باب الامام الشافعى رضى الله عنه اذ رأيت جماعة عليهم بياض ، وعلى رءوسهم غمامة من نور ، يقصدوننى من ناحية الجبل ٠ فلما قربوا منى فاذا هو النبى ﷺ وأصحابه رضى الله عنهم ، فقلبت يده ، فقال النبى ﷺ : أمض معنا الى الروضة ، فذهبت مع النبى ﷺ الى بيت الشيخ جلال الدين ، فخرج الى النبى ﷺ وقبل يده وسلم على أصحابه ، ثم أدخله الدار ، وأجلسه وجلس بين يديه ٠ فصار الشيخ جلال الدين يسأل النبى صلى الله عليه وسلم يقول : هات يا شيخ السنة ٠ انتهى ٠

وذكر الشيخ عبد القادر الشاذلى رحمه الله عن الشيخ رضى الله عنه أنه رأى هذه الرؤيا بعينها ، وقال له النبى ﷺ : هات يا شيخ الحديث كما سيأتى ٠

وكان رضى الله عنه كثيرا ما يجيب السائل على البديهة ثم يقول : الذهن خوان ٠ افتح الكتاب الفلانى ، وعد من الصفحة الفلانية كذا كذا سطرا تجد المسألة ان شاء الله تعالى كما قلت لك فيفتح الكتاب فيجد الأمر كما قال ٠

وكان رضى الله عنه يقول بنجاة أبوى النبى ﷺ ، وأنهما فى الجنة ، ووافقه على ذلك جماعة من الحفاظ ٠

وكان رضى الله عنه يجتمع بالنبى ﷺ يقظة ، وأخبرنى الشيخ

عبد القادر الشاذلى : انه رآى بخط الشيخ جلال الدين ورقة كتبها لبعض اصحابه حين سأله ان يقضى له حاجة عند السلطان الغورى [فيها] يا أخى، انى ارى النبى ﷺ يقظة(١) ، واخـاف ان اجالس السلطان الغورى فيحتجب عنى عقوبة لى . ولكن اسأل لك النبى ﷺ . فقلت : يا سيدى ، فكم مره نظرت النبى ﷺ يقظة ؟ قال : بضعا وسـبعين مرة . قال : وقـد ألف الشيخ كتابا سماه « تنوير الحلك ، فى امكان رؤية النبى والملك »

وذكر فيه من كان يجتمع بالنبى ﷺ وبالملك فى اليقظة لا فى المنام من الأولياء والصحابة والعلماء ، ولم يذكر فيه شـيئا مما ذكره فى هـذه الورقة التى ذكرناها . وكان رضى الله عنه يقول : رايت النبى ﷺ يقظة فقال لى : يا شيخ الحديث . فقلت : يا رسول الله ، أمن أهـل الجنة انا ؟ فقال : نعم . فقلت : من غير عذاب يسبق ؟ فقال : النبى ﷺ : لك ذلـك .

وكان الشيخ عطية الأبيارى يقول : قال لى الشيخ جلال لـمـا سألته يقضى له حاجة عند السلطان : ياعطية ، انى اجتمع بالنبى ﷺ يقظة ، واخاف ان أجتمع به فيحتجب عنى النبى ﷺ ، ثم قال له : اكتم عنى ذلك ، ولا تخبر به الا بعد موتى .

قال الشيخ قاسم الامام بمقام الامام الشافعى رضى الله عنه : ومراد من قال انه رأى النبى ﷺ يقظة انكشـاف حجاب القلب ، وليست كرؤية أحدهما صـاحبه الآن .

وأخبرنى خادم الشيخ جلال الدين وكان اسمه محمد بن على الحباك. قال لـمـا وقعت فتنة الشيخ برهان الدين البقاعى فى انكاره على سيدى عمر بن الفارض رضى الله عنه قال لى الشيخ جلال الدين : قم بنا الى زيارة سيدى عمر ، وكان وقت القيلولة ، فزرناه وطلعنا الى سـيدى عبد الله

---

(١) فسر المؤلف طريقة رؤية النبى ﷺ يقظة بما يدفع اى اعتراض .

الحيوشى فوق الجبل ، فراينا الظل تحت حائط الزاوية نحو ذراع(١) . فجلسنا ساعة فقال لى : تريد ان تصلى فى مكة صلاة العصر بشرط أن تكتم على ذلك حتى أموت ؟ فقلت : نعم . فاخذ بيدى وقال : غمض عينك ، فغمضتها ، فرمل بى سبعة وعشرين خطوة ، ثم قال لى : افتح عينك . فاذا نحن بباب المعلى(٢) . فزرنا السيدة خديجة رضى الله عنها ، والفضيل بن عياض ، وسيفان وغيرهم . ودخلنا الحرم فطفنا وشربنا من ماء زمزم . ثم قال لى : يافلان ليس العجب من طى الأرض لنا وانما العجب من كون واحد من أهل مصر المجاورين لم يعرفنا . ثم قال لى : ان شئت تمضى معى ، وان شئت تقيم حتى تاتى مع الحجاج . فقلت : بل أذهب معك يا سيدى . فمشينا الى باب المعلا وقال لى : اغمض عينيك فغمضتهما ، فهرول(٣) بى سبع خطوات ، قم قال : افتح عينيك . ففتحتها فاذا نحن بالقرب من الجيوشى . فنزلنا الى سيدنا عمر ، فركب الشيخ حمارته وذهبنا الى بيته فى جامع طولون . انتهى .

قلت : ورايت الشيخ مرة ومعه مفاتيح كثيرة فأعطاها لى وقال : هذه مفاتيح علومى فخذها .

واخبرنى شيخنا الشيخ أمين الدين الامام بجامع الغمرى قال : سمعت الشيخ جلال الدين يقول عشرة وتسعمائة : اسمع منى هذا الكلام ، ولا تخبر بذلك احدا حتى أموت . يدخل سليم ابن عثمان مصر افتتاح عام ثلاث وعشرين وتسعمائة ، ويبدو خراب مصر ، وتنقرض بياضاتها من ذوى البيوت سنة ثلاث وثلاثين ، فما يصير أحد يشارك اليه منهم ، وتخرب خرابا وسيطا سنة سبع وخمسين . ويقف خراج غالب رزقها . وتخرب

---

(١) فى ب ، حـ : الذراع

(٢) طى الأرض وارثة محمدية لا اعتراض عليها ، وقد تواترت بها أخبار الثقات .

(٣) فى ب : فجرى بى

خرابا شديدا اشـد من ذلك سنة سبع وستين ٠

قلت : وسمعت هـذا الكلام من الشيخ أمين الدين سنة خروج السلطان الغورى لقتال السلطان سليم ٠ فأخبرت بعض العلماء الذين ينكرون على الشيخ جلال الدين بذلك فقال : هـذا أمر لا يجوز تصديقه ٠ فلما قتل الغورى ودخل عسكر السلطان سليم افتتاح عام ثلاث وعشرين وصاروا يحرقون أبواب بيوت الجراكسـة ويقتلونهم ، ويسـبون حريمهم ، فقال الشيخ أمين الدين : اذهب الى ذلك المنكر فقل له : أنظر الى صدق ما أخبر به الشيخ ، لم يخطىء يوما واحدا ٠ فقال ، وكل شيء يرعد فيه : هـذا موافقة قـدر ٠ فردت جوابه على الشيخ أمين الدين ، فتبسم وقال : وانشقاق وانشقاق القمر للنبى صلى الله عليه وسلم بقدرة الله عز وجل أيضـا ٠ وانما المعجزة فيـه اجابة الحق تعـالى سـؤاله ، والانتصار له ٠ وكذلك القول فى كرامات الأولياء ٠ ثم قال : يا سبحان الله ، والحسـد يؤدى الى هـذا كله ؟

قلت : وقـد صدق الشيخ فى العلامة الثانية والثالثة ٠ ووقف خراج مصر فى سنة سبع وخمسين وبقيت العلامة الرابعة ، والله تعالى أعلم ٠

وأخبرنى الشيخ عبد القادر الشاذلى : لمـا بلغ الشيخ جلال الدين أربعين سنة أخـذ فى التجـرد والعبادة والانقطـاع الى الله عز وجـل بالاشتغال به صرفا ، والاعراض عن الدنيا وأهلها ، حتى كأن لم يعرف أحـدا منهم ٠ وشرع فى تحرير مؤلفاته وترك الافتـاء والتدريس ، وألف كتابا سـماه « التفتيش فى الاعتذار عمن ترك الافتاء والتدريس » وأقام فى روضـة المقياس ، فلم يتحول منها الى أن مات ٠ وبلغنا أنه لم يفتح طاق بيته التى على بحر النيل مدة سكناه ٠

وكانت الأمراء والأغنياء يأتون الى زيارته ، ويعرضون عليه الأموال النفيسة فيردها ٠ وأرسل له السلطان الغورى خصيصا وألف دينار ، فرد الألف وأخـذ الخصى وأعتقه وجعله خادما فى الحجرة النبوية ، وقال

لقاصده : لا تعد تاتينا قط بهدية ، فان الله تعالى اغنانا عن مثل ذلك . وقال له مرة : ان بعض الأولياء كان يتردد على الملوك والأمراء فى حوائج الناس فقال : اتباع السلف الصالح فى عدم ترددهم أسلم لدين المسلم ، وكذلك فى رد أموالهم عليهم .

وأخبرنى الشيخ أمين الدين أن الشيخ جلال الدين طلع مرة للسلطان قايتباى فى حادثة ، وعلى رأسه الطيلسان(١) . فقال له السلطان : أنت ملكى حتى تلبس الطيلسان ؟ لظنه انه خاص بالمالكية . فقال له الشيخ : هذه عادة حدثت قريبا . وكان الطيلسان فى الزمن الماضى خاصا بالشافعية (٢) الى زمن الشيخ تقى الدين السبكى . وطال بينهما الكلام فقال الشيخ : (انما)(٣) الطيلسان سنة فى كل مذهب ، ولا يختص بالمالكية ب فقال : هذا تكبر وتجبر ، وبالغ فى النكير . فقال الشيخ : معاذ الله ، بل هو رسول الله ﷺ . قال : ولم أؤاخذ السلطان على ذلك لكونه محذوفا على من بعض القضاة . ثم انه تأدب معه فى آخر المجلس وانصرف .

فلما كان بعد أيام الشيخ ان أمامه ابن الكركى(٤) قال له : ليس الطيلسان سنة ، ولو كنت حاضرا عند قوله : سنة ، لقلت له : يعنى سنة اليهود قال الشيخ : بل هو يكفر لكونه رد سنة ثابتة عن النبى ﷺ . ثم ان الشيخ جلال الدين صنف كتابا حافلا سماه « الأحاديث الحسان فى فضل الطيلسان » .

---

(١) لباس خاص بالعلماء والقضاة منذ العصر العباسى .

(٢) اضطربت عبارة الأصول هنا تقديما وتأخيرا وأصلحناها .

(٣) ساقطة من ب .

(٤) هو قاض فى العصر المملوكى ، كان يحط على الصوفية كثيرا .

ثم ان السلطان مرض مرضا شديدا أشرف فيه على الموت ، وطلع له أهل العلم وغيرهم يهنئونهم بالسلامة ، فلم يطلع الشيخ اليه ، فأرسل له قاصدة فأبى فأوقد ابن الكركى عليه النار وقال : هـذا عاص لله ورسـوله فى عدم اجابة ولى الأمر ٠

قال الشيخ : ثم ان السلطان ارسل الى قاصـده يخوفنى فى أمور يوقعها بى فقلت لقاصده : قل له إن لك سلطانا نيفا وعشرين سـنة ، ما رأينا مثلك سوءا فان لم ترجع عنى والا توجهت فيك الى رسول الله ﷺ يحكم بينى وبينك ٠

فسكت حتى طلع مشايخ الاسـلام يهنئونه بالشهر ، فاستفتاهم فى عـدم الطلوع له لسلوك طريق السلف فى ذلك ، فما منهم أحـد نصر الحق وقال بما يلزم من أن عـدم دخول العلماء للملوك سنة ، وقالوا : هو سـنة السلف الصالح ٠

فعزلت نفسى من سـائر الوظائف التى لهم عليها ولاية ، وألفت فى ذلك كتابا سميته « ما رواه الأساطين فى عدم المجىء الى السلاطين » ٠ فلما بلغ السلطان ذلك شق عليه ، وأرسل الى « أمير أخور كبير » والامام الذى يصلى بالسلطان بكلام طيب يطلب منى الطلوع مثلهم ، فلم اجبهم لذلك ، وأرسلت الى السلطان رسـالة سميتها « الرسالة السلطانية » فيها جملة الأحاديث الواردة فى منع العلماء من التردد على السلاطين ٠ فلما قراهـا عليه أمير أجور كبير قال السلطان : والله لو ان الشيخ أخذ عصاه وضربنى بها لأذعنت له بعد هـذا ولم أقابله ٠ فسـاء ذلك ابن الكركى ، وأخـذ على السلطان ، فرجع الى قوله الأول ، وصـار يتوعدنى بالقتل ٠ فقال لى شـيخ السـلام الشافعى : لا بأس أن تتلافى خاطر السلطان بارسال كلام طيب على لسـان أمير كبير ، فاننا نخاف عليك من السلطان فقلت له : انى متمسك بقوله ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرة على

الحق حتى يأتى أمر الله ، لا يضرهم من خذلهم »(١) • ثم انى توجهت الى رسـول الله ﷺ • فمرض بعـد يومين ، واشـتد به المرض الى ان مات بعـد يومين •

ولـمـا عمر السلطان الغورى مدرسته المعروفة بالقبة الزرقاء بعث للشيخ بمشيختها فلم يقبل : فقال نرتب لك جوالى كل شهر فلم يقبل • وكان يعتقده اعتقادا عظيما •

ولـمـا قام عليه صوفية الخانقاه(٢) البيبرسية ، وكان قـد قال لهم : لستم بصوفية وانما الصوفى من يتخلق بأخلاق الأولياء ، كما يشهد لذلك كتـاب الحيلة لأبى نعيم ، ورسـالة القشيرى ، وغيرها من الكتب • ومن ياكل المعلوم غير تخلق بأخلاقهم اكل حراما •

فلما اشـتد الأمر وسـعوا فى قتله عند السلطان قال الشـيخ : ان رسـول الله ﷺ اخبرنى انى منصور عليهم ولم تتغير فيه شعرة واحدة • ثم ان جميع من قام على شيخ حصل له مقت بين العباد ، ومات على أسوأ حال • وقـد رأيت أنا بعينى من صار ينصب على من يبيع الدجاج والمـأكل ويدخل بها بيته ، فلا يعود يخرج حتى يتعب صاحبها وييأس من ثمنها ويأكل حراما سـحتا • وبعضهم ابتلى بالانكار على العلماء والأولياء حتى ظهرت عليه أمارات الشقاء عندما يموت ، من فقد الشهادة وزرقة العينين، وسـواد الجبهة نسـأل الله العافيـة •

ولـمـا اججوا النـار على الشيخ عند السلطان العادل وقالوا له : أنه يحط عليك كثيرا ، قال السلطان : لئن رأيته لأقطعنه قطعـا فقال الشيخ : ان رسول الله ﷺ اخبرنى ان راسـه تقطع فى يوم كذا وكذا • وكان الأمر كما قال الشيخ ، لم يتخلف يوما واحدا ، وصدق الشيخ •

---

(١) رواه البخارى ومسلم والترمذى •

(٢) الخانقاه بيت يسكنه الصوفية وتجرى عليهم فيه الأرزاق وينقطعون فيـه للعبادة والعلم •

قال الشيخ عبد القادر الشـاذلى : وأمتحن الشيخ المحن الكثيرة ، وما سمعته يوما واحدا يدعوا على من آذاه من الحسـدة ، ولا يقابله بسوء ، وانما يقول : حسبنا الله ونعم الوكيل ۰ وصنف فى ذلك كتابا سماه : خبر الظلامة ليوم القيـامة ۰

وأخبرنى الشـيخ بدر الدين بن الطباح(١) نفع الله به لمـا قام الصوفية البيبرسية على الشيخ جلال الدين صنف فيهم كتابا سالونى أن أعارضه بكتاب فشرعت تلك الليلة فيه ، فاذا بورقة وقعت فى حجرى فى مكتوب فيها : عبدى يا مؤمن ، لا تؤذ أحدا من حمل علم نبى ۰ فرجعت عن التاليف وعلمت أن الشيخ جلال الدين على الحق ۰

وكان الشيخ تقى الدين الأوجاقى يحط على الشيخ جلال الدين ، فاعترف بفضله واستغفر وقال : الأمور كلها لله تعالى ، يعطى العلم لمن يشـاء ، لا تحجير عليه ، ولم يزل يعترف بفضله الى أن مات ۰

ومناقب الشيخ كثيرة مشهورة ۰ ولو لم يكن له من الكرامات الا اقبال الناس عليه فى سـائر الأقطار وعلى كتبه ومؤلفاته ومطالعتها لكان ذلك كفاية لمـا اشتملت عليه من العلوم والمعارف ۰

ومما انفرد به من المؤلفات ولم يسبقه اليه احـد كتاب « المعـانى الدقيقة فى ادراك الحقيقة » ، وكتـاب « تزيين الأرائك فى ارسـال نبينا الى الملائك » وكتـاب « أنموذج اللبيب فى خصائص الحبيب »(٢) ، وكتـاب « نشر العلمين فى احياء الأبوين » ، وكتب كثيرة تعلم من كتـاب الفهرست ۰

مات رضى الله عنه فى سحر ليلة الجمعة المباركة ، تاسع عشر ليلة

---

(١) سـتأتى ترجمته ۰

(٢) بل سبق بهذا الكتاب ، بدلائل النبوة لأبى نعيم ، ونهاية السول فى خصائص الرسـول لابن دحية ، وخصائص النبى لابن الملقن ۰

فى جمادى الأولى ، سنة احدى عشرة وتسعمائة ، وكان مرضه سبعة ايام بورم شديد فى ذراعه الأيسر ، يقال : انه الخلط الحاد ، وقد استكمل من العمر احدى وستين سنة ، وعشرة أشهر ، وثمانية عشر يوما ، وكان له مشهد عظيم ، ودفن فى حوش توصون خارج باب القرافة ، رضى الله عنه ، وقبره ظاهر يزار ، وعليه قبة عظيمة . نفعنا الله تعالى والمسلمين ببركته وبركة علومه ومدده . آمين .

شيخ الاسلام
الشيخ زكريا الأنصارى

ومنهم شيخنا وقدوتنا الى الله تعالى الشيخ زكريا الأنصارى رضى الله عنه شارع البهجة والروضة وغير ذلك . انتهت اليه الرئاسة فى مصر ، حتى أنه لم يبقى فى مصر أواخر عمره الا طلبته او طلبة طلبته . وقرىء عليه شرح البهجة سبعة وخمسين مرة ، حتى أتم تحريره(١) ، ولم ينقل عن أحد من المؤلفين ، وغالبهم يمت عقب (انجاز)(٢) مؤلفاته من غير تحرير .

وكان رضى الله عنه مهيب المنظر ، مع أنه اذا رآه الانسان امتلأ قلبه انسا وذلك علامة ولايته ، فان الهيبة قلم تجتمع مع الأنس فى شخص (واحد)(٣) . وكان يدرس فى علم الفقه والتصوف ، ولازمته وطالعت له لما كف بصره عشر سنين كانها من طيبها كانت سنة ، فيكونى ما كنت أجد عند احد غيره ما كنت أجد عنده ، بل اقول : طوبى لعين نظرته ولو مرة واحدة .

---

(١) التحرير . فى ب .

(٢) ساقطة من أ .

(٣) وهكذا كان النبى ﷺ : من رآه يهديه هابه ، ومن جالسه أحبه . انظر [سيرة ابن هشام ١٠٧/٢] .

وكان رضى الله عنــه مقبلا على ربه على الدوام ، لا تكاد تجــده غافلا من عبادة ربه لحظة واحدة ، وكنت اذا أصلحت شيئا فى الكتــاب الذى اقرأ عليه بصير يقول بخفيف صوت : الله · الله · ولا يمكث غافلا عن الذكر لحظــة · وكان يشرح كلام أهل الطريق على أتم حال ، ويجيب عنه بالأجوبة الحسنة اذا أشكل على الناس شىء من كلامهم ·

وكان يقول : ان الفقيه اذا لم يكن له معرفة بمصطلح ألفاظ القوم فهو كالخبز الجــاف من غير ادام ·

ولمــا وقعت فتنة برهان الدين البقاعى فى انكاره على سيدى عمر ابن الفارض رضى الله عنه أرسل السلطان الى العلماء ، فكتبوا له بحسب ما ظهر لهم وامتنع الشيخ زكريا رضى الله عنه ، ثم اجتمع بالشيخ محمد الاصطمبولى فقال : أكتب وانصر القوم وبين فى الجــواب ، أنه لا يجوز لمن لا يعرف مصطلح القوم أن يتكلم فى حقهم بشر ، لأن دائرة الولاية تبدىء من وراء طور العقل لبنائها على الكشف ·

وكان رضى الله عنه من أصحاب الهمم العالية ، ورأيته بعد بلوغ عمره أكثر من مائة سنة يصلى النوافل حال مرضــه قائما ، فيصير يميل يمينا وشمالا ، لا يكاد أن يتمالك أن يقف من غير ميل · فقلت له يوما : مثلكم يا سيدى لا يكلفه الله تعالى بالصلاة قائما · فقال : يا ولدى النفس من شأنها الكسل ، وأنا أخاف أن تغلبنى فأختم عمرى بذلك ·

وكان اذا طول عليه أحــد فى الكلام يقول : عجل فقد ضيعت علينا الزمان ومكثت أتغذى معه مدة عشر سنين ، فما كان يزيد على ثلث الرغيف من خبز خانقاه سعيد الســعداء · وكان يقول : انما خصصتها الأكل من خبزهــا لكون صاحبها كان رجلا صالحا ، وذكرها أنه عمرها باشارة النبى ﷺ ·

وكان اذا حضر عنده أكابر العلماء يخفون فى نوره ، حتى كأنهم أطفال بين يديــه · وكانت هيبته فوق هيبة السلطان · وقــد حالست

السلطان الغورى ، والسلطان طومان باى بعد الغورى ، وكانت هيبته ترجح عليهما .

وكان رضى الله عنه كثير الكشف ، لا يكاد يخطر فى قلبى شىء بين يديه الا قال له : قل ما فى قلبك . وكنت اذا حصل عندى صداع فى راسى ، وتأوهت وانا طالع يقول لى : انو الاستشفاء بالعلم يذهب . فاذا نويت ذلك شفيت ببركة اشارته ، لا ببركة اخلاصى . وهذا دليل على اخلاص الشيخ فى العلم ، فان الانسان لا ينوى الشفاء بعمل لا اخلاص فيه ، بدليل الثلاثة الذين دعوا الله بصالح أعمالهم لما انحدرت عليهم الصخرة فسدت عليهم فم الغار .

واخبرنى انه من حين كان شابا وهو يحب طريق الصوفية ويحضر مجالس ذكرهم ، حتى كان الأقران يقولون : زكريا لا يجىء منه شىء فى طريق الفقهاء ، لكونى كنت مكبا على مطالعة رسائل القوم ، مواظبا على مجالس الذكر ، بحيث كان يذهب غالب الوقت فى ذلك .

واخبرنى انه سافر من مصر الى سيدى محمد الغمرى بالمحلة الكبرى(١) ، وتلقن عليه ، واقام عنده أربعين يوما ، وقرأ عليه قواعد الصوفية(٢) كاملا له ثم رجع الى مصر ، رضى الله تعالى عنه .

واخبرنى رضى الله عنه انه دخل يوما على سيدى محمد الغمرى الخلوة على غفلة ، فراى له سبع عيون ، فلما بهت(٣) فيه قال : يا زكريا ، ان الرجل اذا كمل صار له سبع عيون بعدد اقاليم الدنيا . قال : ورأيته

---

(١) ترجم له فى الطبقات الكبرى والمحلة مركز صناعى للنسيج فى محافظة الغربية بمصر .

(٢) الكتاب لا زال مخطوطا فى فهرس التصوف بدار الكتب المصرية .

(٣) بهت : أى نظر وهو يحملق متعيربا .

مرة أخرى جالسا فى الهواء الخلوة قريبا من السقف(١) .

وقال : ولما اشتغلت بالعلم وبرعت فيه بحمد الله شرحت البهجة، فلما اتممت شرحها غار بعض الأقران ، فكتب على بعض نسخ الشرح : كتاب الأعمى والبصير ، تعريضا بى ، بأنى لا اقدر على شرح البهجة وحدى ، وانما ساعدنى فيه رفيقى وهو اعمى كنت اطالع أنا واياه ، فاحتسبت بالله ولم ألتفت الى مثل ذلك ، اقتداء بامامى الشافعى رضى الله عنه فى قوله : احب ان اقرا هذه العلوم ولا ينسب الى شىء منها .

قال : وكان تأليفى لشرح البهجة يوم الاثنين والخميس ، لكونهما ترفع فيهما الأعمال كما ورد فى الحديث ، وكان تأليفى فوق سطح الجامع الأزهر . قال : وكان وقتى رائقا من الكدورات النفسانية لقلة علائقى فى الدنيا . وكان ظاهرى بحمد الله محفوظا من الأعمال الرديئة ، وكنت قليل اللهو واللعب ، قليل الذهاب الى مواضع النزهات . وما سكنت قط على نهر النيل ، او خليج ، ولكن كان الطلبة اذا أرادوا رؤية البحر اذهب بهم الى ناحية مسجد الآثار ببركة الحبش ويقرعون دروسهم هناك . وكنت أعوم فى النهر كل سنة مرة خوفا من أن ينفك ادمانى العوم ، فانه كما فى الرجل والمراة .

قال رضى الله عنه : وكنت مجاب الدعوة ، لا اكاد ادعو على من ظلمنى الا ويقصمه الله تعالى ، ولا لمريض الا شفاه الله عز وجل ، فلما اشتهر ذلك عنى اشار على بعض الفقراء بستر حالى .

وكان رضى الله عنه كثيرا ما يحكى لى من أحواله ثم يقول لى : يا ولدى ، اكتم على ذلك أيام حياتى ، فانى لم أنطق بذلك الا لك ، فيحصل لى بذلك غاية السرور ، حيث جعلنى محلا لموضع أسراره .

---

(١) يرجع ذلك الى صفاء عناصره النفسية وتغلب الروح عليها ، فيصير روحيا ، والروح علوية تنزع الى الفوق .

وقال لى مرة : هل هنـا احد غيرك ؟ فقلت : لا ، فقال : أريد ان أذكر لك بداية أمرى لتحيط بذلك علما • فقلت له : نعم ، فقال : جئت من البلاد الى الجامع الأزهر وأنا شـاب ، فلم أعكف على الاشتغال بشىء من أمور الدنيا ، وكنت اذا جعت فى الجامع واشـتد على الجوع أخرج فى الليل الى الميضأة ، فأغسل قشـيرات البطيخ التى حولها فآكلها ، بها على الخبز ، فاقمت على ذلك الحال سنين ، ثم ان الله تعالى قيض لى شخصـا من أوليـاء الله تعـالى كان يعمل فى الطواحين فى غربلة القمح ، وكان يتفقدنى ويشترى لى ما أحتـاج اليه من الأكل والشرب والكسـوة والكتب ويقول لى : يا زكريا لا تخف على شـيئا • فلم يزل معى كذلك عـدة سنين •

فلما كنت ليلة من الليالى أخـذ بيدى وأتى به الى سلم الوقاد الذى فى صحن الجامع الأزهر فقال لى : اصـعد الى آخر هـذا الكرسى • فصعدت ولا زال يقول لى : اصـعد ، حتى صعدت الى آخره ، ثم قال لى : يا زكريا ، انك تعيش حتى يموت جميع اقرانك ، ويرتفع شـأنك ، وتتولى منصب شـيخ(١) الاسـلام مدة طويلة • ثم انقطع عنى فلم أره الى يومى هـذا •

وكانت أول شهرة الشيخ أيام السلطان خشقدم ، وذلك انه كان فى باب النصر رجل مشهور بالصلاح يمر عليه السلطان خشقدم ، فوقف عليه يزوره ، فقال الشيخ للسلطان : ان كان لك حاجة فاسأل فيها الشيخ زكريا• فركب السلطان فزاره ، فأسرعت اليه النـاس ، فمن ذلك اليوم اشـتهر بالصلاح • وقال لى : انها كانت غلطة عظيمة • فقلت له : ما هى ؟ فقال : توليتى للقضاء صيرنى وراء الناس ، مع أنى كنت مستورا أيام السلطان قايتباى • فقلت له : يا سيدى انى سمعت بعض الأولياء يقول :

---

(١) فى ب : مشيخة الاسـلام

كانت ولاية الشيخ للقضاء سترا لحالة ، ولما شاع عند الناس من زهده وورعه ومكاشفاته . فقال : الحمد لله ، خففت على يا ولدى .

وقال لى مرة : لما سألنى السلطان القضاء أبيت ، فغمز النقيب وأخرج لى الخلعة ووضعها على ظهرى مفاجأة ، وطلب لى بغلة أركبها ، فقلت : لا أغير حمارتى ، فركبت حمارتى وأنا ألبس الخلعة ، فجاءونى بالبغلة فى أثناء الطريق ، وغلبونى على ركوبها فركبتها الى البيت . وقال لى السلطان مرة : لقد شاورت نفسى أن آخذ بلجام بغلتك وأمضى معك الى بيتك ولى الشرف بذلك .

قال : ولم يكن أحد يحمل نصحى بالكلام الجافى الخالى من المداهنة مثل السلطان قاتباى ، ولو قلته لأحد من العلماء فى هذا الزمان لعادانى طول عمرى . قال : وكنت اذا تعذر على مشافهته بالنصح أتعرض له فى الخطبة بذلك الأمر خطابا عاما للحاضرين ، فيلحق هو بذلك ، فاذا سلمت من صلاة الجمعة قام الى وسلم على وقال : جزاك الله خيرا عنا فى هذا النصح .

ثم لم تزل الحسدة يزجون الى السلطان ، ويظهرون له المحبة والتأثر من وعظى هذا له ، و [فى] أنه يرسل الى يمنعنى من التعرض له فى الخطبة حتى قال لهم : وماذا أقول لشخص يبصرنى بعيونى وينصحنى . ثم انى أغلظت عليه يوما فى النصيحة بحضرة بعض الأمراء والأكابر ، فتغير (١) منى ، فتقدمت اليه ثم أمسكت يده وقلت : يا مولانا السلطان ، انما أعظك بأمور لأنها تقضى عليك ، وأخاف على جسمك هذا أن يصير فحما من فحم جهنم . فصار السلطان ينتقض ويبكى .

وقلت له مرة فى الخطبة : تنبه لنفسك يا من ولاه الله أمور العباد ، وتفكر بداية أمرك ، وما كنت فيه ، وحالك اليوم . قد كنت عدما فصرت

---

(١) فى الأصول : فتطور ، وما اخترناه أوضح . وهما بمعنى .

وجودا وكنت كافرا فصرت مسلما ، وكنت رقيقا فصرت حـرا ، وكنت مأمورا فصرت آمرا ، وكنت أميرا فصرت سلطانا . فلا تقابل هـذه النعم بالتجبر والتكبر ، وتنسى مبداك ومنتهاك ، ووضع انفك فى التراب حين تموت(١) ، ثم يأكلك الدود وتصير ترابا . فبكى السلطان ثم قال لمن حوله من الأمراء : اذا ابعدت هذا فمن يقول لى هـذا الوعظ .

واخبرنى يومـا أن الخضر عليه السـلام كان يجتمع بسـيدى على النبتيتى الضرير(٢) ، فسأله يوما عن أحوال علماء العصر ، فصار يقول : ونعم ، فسأله عنى فقال : ونعم ، الا ان عنده نفيسـة ، فقال : يتوب منها . ولم يبين له الخضر ذلك . فتنكرت على افعالى ، وصار عندى تطير من جميع افعالى . فأرسلت اقول لسيدى على اذا رأيته مرة أخرى فاسأله يبين لك النفيسة لأتوب منها ، فرآه فأخبره فقال له : اذا كاتب الأمراء فى حاجة يقول لقاصده : قل : هـذا الكتاب من الشيخ زكريا . فيسـمى نفسـه شيخا . قال : فمن ذلك اليوم ما تلفظت بهذه الكلمة .

وقال لى مرة : كنت كثير الاعتكاف فى خلوتى فوق سطح الجامع الأزهر فدق على رجل الباب ففتحت له فقلت : ما حاجتك ؟ فقال : قـد كف بصرى فدلنى الناس عليك ، وعلى فضلك ، تدعو لى بالشفاء فيرد الله على بصرى . قال : وكان لى علامة فى الدعاء المجاب وغير المجاب ، فرايت علامات الاجابة حين توجهت الى الله تعالى ، ثم خفت الشهرة ، فقلت : خذ هـذا الدرهم وامض الى العجمى الذى تحت البرقوقية ، فقل له : بعثنى زكريا اليك لتعطينى بهذا الدرهم توتيا جافة . قال : فمضى الرجل واخذ التوتيـا ورجع الى . فقلت له : لا يرد الله عليك بصرك

---

(١) فى الأصول : حتى تموت . وما اخترناه أصح .

(٢) ترجم له فى الطبقات الكبرى .

فى مصر ، وانما يرده عليك فى « قطية » فسافر ، واذا رجع اليك بصرك فلا ترجع الى مصر فى هذه السنة .

قال الشيخ : فوصل الى [بيت] المقدس بصيرا ، ومكث يكتب مصاحف وكتب علم ، وأرسل لى كذا وكذا كتابا بخطه ، ولم يزل بصيرا الى ان مات .

وكان رضى الله عنه كثير الصدقة سرا وجهرا ، ولكن كانت صدقته سرا اكثر ، وما رأيت فى العلماء والصالحين اكثر صدقة منه ، وكان له جماعة يتصدق عليهم كعايتهم من يوم أو جمعة أو شهر ، وكان كثيرا ما يعطى كل وارد عليه تهنئته بالشهر ، ولكل واحد مقام عنده فى العطاء ، من القضاة والعلماء وطلبة العلم المساكين . فمنهم من له كل شهر عشرة أنصاف ، ومنهم من له خمسة أنصاف ، الى نصف ، الى عثمانى .

وكان غالب الناس يعتقد فى الشيخ قلة الصدقة من كثرة اخفائها ، وكان اذا جاءه فقير يطلب شيئا يقول لى : هل هنا أحد ، فان قلت له : نعم ، قال : قل له يأتينا فى غير هذا الوقت . وكان فقير من الصعيد له عليه مرتب كل يوم فيقول : زرت سيدى عبد القادر الجيلانى البارحة ، وزرت النبى ﷺ البارحة وزرت أبا الحجاج الأقصرى ، والشيخ ساكت . فقلت له يوما : انه لم يلحق هذه الأماكن ، فقال الشيخ : يحتمل أن يكون صادقا ، فان الأمر ممكن ، فان الدنيا خطوة مؤمن(١) .

ورأيت له مرة رؤيا حسنة لم اذكرها له ، فلما جلست بين يديه للمطالعة فى شرح البخارى قال لى من ذات نفسه : قف واذكر ما رأت

---

(١) هناك وصية للنبى ﷺ تشير الى طى الأرض . أخرج ابن السنى فى باب الوصية للمسافر من عمل اليوم والليلة قول النبى ﷺ « عليكم بالدلجة ، فان الأرض تطوى » وكان من دعائه فى السفر : « اللهم ازولنا الأرض » .

الليلة . فقلت : رأيت أنى معكم فى مركب وانت جالس على يسار الامام الشافعى ، فقلت لى : سلم على الامام ، فسلمت عليه ودعا لى ، والمركب مقلعة فى بحر مثل عباب النيل ورايت المركب كلها مفروشة بالسندس الأخضر ، وكذلك القلع وحباله كلها حرير اخضر ، ومتكآت خضر . فما زلنا مقلعين حتى انتهينا الى جنينة عظيمة أصولها فى ساحل البحر ، وثمارها مدلاة من شراريف الحائط ، فطلعت أنا الى البستان من المركب ، فرأيت جوارى حسان يجنين من الزعفران فى قفاف بيض ، على رءوسهن كل قفيفة من الز عفران قدر باقى الجزم ، قدر أسباطة البلح فاستيقظت فقال لى : ان صدق منامك سوف أدفن بالقرب من الامام الشافعى لكون المركب جمعتنى انا وإياه .

قال : وكان حاضرا عندنا الشيخ جمال الدين الصافى ، والشيخ أبو بكر الظاهرى . فلما توفى الشيخ فتحوا له فسقية فى باب النصر ، فقال الشيخ جمال الدين : أين رؤياك ؟ فقلت له : ان الشيخ قال : ان صحت رؤياك . فبينما نحن كذلك وقد كفن الشيخ ، وما بقى الا الحمل ، جاء قاصد « خير بك » فقال : ان ملك الأسراء ضعيف ، ولا يستطيع أن يأتى الى باب النصر ، ومقصده من افضلكم أن تحملوه الى سبيل المؤمن ليصلى عليه ، فحملوه . فلما صلى عليه ملك الأمراء قال : ادفنوه عند الامام الشافعى تجاه قبر الشيخ نجم الدين الخيوشانى ، المطل عليه الشباك ، قبالة وجه الامام الشافعى ، فكان الأمر كذلك .

وكانت جنازته مشهودة ، ما رأيت اكثر خلقا منها ، وقد البسنى خرقة الصوفية ، وأرخى لى العذابة ، ولقننى الذكر . فبينى وبين سيدى أحمد الزاهد رجلان ، لأن الشيخ أخذ عن سيدى محمد الغمرى عن سيدى أحمد الزاهد ، ولا أعلم الآن فى مصر أعلا من هذا السند . فان غالب الناس بينه وبين سيدى أحمد الزاهد اربع رجال أو ثلاثة .

ولما توفى رضى الله عنه أظلمت مصر ، فكان فيها كالشمس رضى الله عنه فطوبى لعين رآته مرة · مات رضى الله عنه فى ذى الحجة الحرام سنة نيف وعشر وتسعمائة ·

شيخ الاسلام
برهان الدين بن أبى شريف

ومنهم شيخنا وقدوتنا الى الله تعالى شيخ الاسلام برهان الدين بن أبى شريف الشافعى ، رضى الله تعالى عنه · كان شيخا عالما ورعا زاهدا متمكنا فى علوم الظاهر والباطن · صحبته رضى الله عنه نحو خمس سنين ·

وكان من المقبلين على الله عز وجل ليلا ونهارا ، لا تكاد تسمع منه كلمة واحدة يكتبها عليه كاتب الشمال · وكان لا يتردد الى أحد من الولاة أبدا · وكان الانسان اذا عرض عليه بعض محفوظاته يتلجلج من شدة هيبته ، فيباسط الصغير حتى يهدأ روعه · ·

وكان له صبانة فى القدس يعمل فيها الصابون ، ويتقوت منها ، وكان لا يأكل من معاليم مشيخة الاسلام شيئا ، وكان قوالا بالحق ، أمارا بالمعروف ، لا يخاف فى الله لومة لائم · وعارضه السلطان الغورى فى واقعة فما أفلح بعدها أبدا ، وسلب ملكه ، فكان الناس يقولون : جميع ما وقع للغورى ببركته · توفى رضى الله عنه سنة نيف وعشرين وتسعمائة رضى الله عنه ·

شيخ الاسلام
الشيخ كمال الدين الطويل

ومنهم شيخنا الشيخ كمال الدين الطويل ، رضى الله عنه ، كانت الأنوار تخفق على وجهه · وكان رضى الله عنه اماما فى العلوم والمعارف ، متواضعا عفيفا ظريفا ، لا يكاد جليسه يمل من مجالسته · انتهت اليه

الرئاسة فى العلم ، ووقفت الناس عند فتاويه . وكانت كتب مذهب الامام الشافعى نصب عينيه لاسيما كتب الأذرعى والزركشى .

وكان من أولاد الترك . وبلغنا انه كان فى أيام صباه يلعب بالحمام فى الريدانية(١) . فمر عليه سيدى ابراهيم المتبولى(٢) رضى الله تعالى عنه وهو ذاهب الى « بركة الحاج » . فقال : مرحبا بالشيخ كمال الدين شيخ الاسلام . فاعتقد الفقراء أن الشيخ يمزح معه ، اذ لم تكن عليه أمارات الفقهاء ، فمن ذلك اليوم ترك لعب الحمام ، واشتغل بالقرآن والعلم ، وعاش جماعة سيدى ابراهيم المتبولى الذين ظنوا أن الشيخ يمزح معه حين لقبه بشيخ الاسلام حتى رأوه تولى مشيخة الاسلام ، فظهر لهم صدق الشيخ .

ولما دنت وفاة الشيخ كمال الدين رأيت سيدى ابراهيم فى المقام فقال لى : قل للشيخ كمال الدين يتهيأ للموت ، ويكثر من الاستغفار ، فقد دنا أجله ، فأعلمته بذلك ، فقال : سمعا وطاعة . فعاش بعد ذلك شهرا ونصف شهر .

فانظر يا أخى ملاحظة سيدى ابراهيم له أول أمره وآخره ؟ ومناقبه كثيرة توفى بعد دخول ابن عثمان مصر ، ودفن بتربته خارج باب النصر ، قريبا من المدرسة الحاجبية ، رضى الله عنه .

شيخ الاسلام
الشيخ برهان الدين القلقشندى

ومنهم شيخنا شيخ الاسلام الشيخ برهان الدين القلقشندى رضى الله تعالى عنه . كان عالما صالحا زاهدا ورعا ، قليل اللهو والمزاح ،

---

(١) مكانها الآن العباسية .

(٢) ترجم له فى الطبقات الكبرى

مقبلا على اعمال الآخرة حتى انه ربما يمكث اليومين والثلاثة لا يأكل . انتهت الرئاسة اليه فى علوم السنة والكتب السنة والمسانيد والأجزاء .

وسمعت عليه بقراءة الشيخ شمس الدين المظفرى « الفيلانيات »(١) ومسند عبد الله بن حميد . وأجازنى بروايتها كلها . وكان رضى الله عنه اذا ركب بغلته وتطيلس ، يصير الناس كلهم ينظرون اليه من شدة الهيبة التى [كانت] عليه .

مات رضى الله عنه قبل دخول السلطان سليم الى مصر ، وكأن الشمس كانت فى مصر فغربت . رضى الله عنه .

وكانت جنازته حافلة غاصة بالأمراء والصالحين . رضى الله عنه .

شيخ الاسلام

شهاب الدين الشيشينى

ومنهم شيخنا وقدوتنا الى الله تعالى شيخ الاسلام شهاب الدين الشيشينى الحنبلى ، رضى الله عنه . كان عالما زاهدا تقيا ورعا عفيفا متواضعا . كلما رأيته يدرس العلم على نخ حلفا(٢) ليس فوق شيء .

وكان رضى الله عنه اماما فى التفسير والمذهب . وكان اذا دخل جامعا وقت صلاة العصر مثلا يصعد الكرسى بعد الصلاة ، ويتكلم على تفسير(٣) آية او آيتين بكلام مشحون بالزواجر حتى يبكى الناس ، ثم يدعو وينزل .

وكان لا يأكل من معاليم مشيخة الاسلام شيئا ، ودخلت له مرة فرأيته يدور مواسير الغزل للحباكين فى حارته ، ويتقوت منها . وكذلك كان ولده الشيخ عز الدين يفعل لما تولى مشيخة الاسلام . وترك ذرية طاهرة . رضى الله عنه . مات سنة تسع عشرة وتسعمائة هجرية .

---

(١) هى الفوائد العاليات او « الفيلانيات » للدارقطنى مخطوطة بفهرس الحديث دار الكتب المصرية .

(٢) اى على شبه الحصير من الحلفاء .

(٣) فى ب : فى تفسير .

الشيخ نور الدين الأشمونى

ومنهم شيخنا الامام العالم الصالح الورع الزاهد : نور الدين الأشمونى الشافعى رضى الله عنه . كان متقشفا فى مأكله وملبسه وفراشه . صحبته نحو ثلاث سنين كأنها كانت سنة من حسن سمته ، وحلاوة لفظه ، وقلة كلامه ، ولم يزل على ذلك حتى مات رضى الله عنه . نظم المنهاج فى الفقه وشرحه ، وشرح ألفية ابن مالك شرحا عظيما . رضى الله عنه .

الشيخ عبد القادر ابن النقيب

ومنهم شيخ الاسلام والمسلمين ابن النقيب ، رحمه الله تعالى ، وهو الشيخ محيى الدين ، واسمه عبد القادر . قرأ العلم على جماعة من الأعلام ، منهم الشيخ كمال الدين بن أبى شريف ، وشيخ الاسلام زكريا [الأنصارى] واضرابهما . تولى قاضى القضاة مرات .

وكان لا يصلى الصبح صيفا و (لا)(١) شتاء الا فى الجامع الأزهر ، يمشى كل يوم من المدرسة الناصرية اليه . وكان رضى الله عنه متواضعا كثير البكاء من خشية الله تعالى . رضى الله عنه آمين .

الشيخ سعد الدين الذهبى

ومنهم شيخنا وقدوتنا الى الله تعالى العالم الصالح الورع الشيخ سعد الدين الذهبى الشافعى رضى الله تعالى عنه . كان ورده كل يوم ختما شتاء وصيفا . وكان خلقه واسعا ، اذا تجادل عنده الطلبة يشتغل(٢) هو بتلاوة القرآن حتى يفرغ جدالهم . وكان يقضى جميع حوائجه من السوق ويحملها ولا يمكن أحدا [أن] يحملها معه . ولم تزل القفة بيده اذا مشى وهو يتلو القرآن سرا .

وكان لا يقبل من أحد صدقة على خلاف ما عليه الفقهاء ، وكان رضى الله عنه كثير الصداقة . وأوصى بمال جزيل للفقراء والمساكين .

---

(١) سقطت من ا .

(٢) فى حـ : اشتغل .

توفى رضى الله عنه سنة نيف وعشرين وتسعمائة هجرية ، ودفن خارج باب النصر . رضى الله تعالى عنه .

الشيخ عبد الحق السنباطى

ومنهم شيخنا الامام العالم العلامة الصالح الورع الشيخ عبد الحق السنباطى الشافعى ، رضى الله عنه . كان طارحا للتكلف ، انتهت اليه الرئاسة فى الفقه والأصول وغيرهما من العلوم . وكنت اذا رايته شهدت له بالصلاح قبل أن تخاطبه . مات رضى الله عنه بمكة المشرفة ، ودفن بباب المعلا ، سنة (ثلاثين)(١) .

الشيخ جلال الدين السكرى

ومنهم شيخنا الشيخ الامام العالم العلامة الشيخ جلال الدين السكرى ، والد الشيخ أبى الحسن رضى الله تعالى عنه . كان من العلماء العاملين ، وله القدم الراسخ فى علم التصوف والفقه والأصول وغيرها .

وقد أخذ العلم عن جماعة منهم العلامة الشيخ جلال الدين الكبير ، والشيخ يحيى المناوى(٢) واضرابهما ، واجازوه بالافتاء والتدريس وهو ببلاد الفيوم ، فافتى بها ودرس ، وانتفع به خلائق لا يحصون .

ثم رحل الى مصر بأولاده وعياله باشارة الشيخ عبد القادر الدشطوطى رضى الله عنه ، فاستخلفه على عمارة الجامع التى عمرها بمصر وغيرها . فعمرها كلها من فيض فضل الله تعالى من حيث لا يحتسب ، واشترى لها اوقافا ، وأقام لها الشعائر ، ولم يشاركه أحد فى ذلك الأمر (لا من طلبة الشيخ ولا من طلبته ممن)(٣) .

---

(١) سقطت من ا .

(٢) هو صاحب الكواكب الدرية فى طبقات العلماء والصوفية

(٣) ما بين الحاصرين سقط من ا .

كان من طلبته وتحت تربيته ، فكل الأماكن المنسوبة لسيدى عبد القادر عمارة سيدى الشيخ جلال الدين ، لأنها من كسبه واجتهاده ، وكان الشيخ عبد القادر غارقا فيما هو فيه من الجذب لا يفيق الا قليلا ، فالاسم له ، والمعنى للشيخ جلال الدين ٠

وسمعته رضى الله عنه يقول مرة للشيخ جلال الدين : اياك أن تدخل فى المقام احدا من ابناء الدنيا ، واجعل جميع وظائفه وخبزه للفقراء والمساكين ومتعشقى(١) الركب والواردين ٠ فامتثل الشيخ جلال الدين ذلك ، وسار فى المقام سيرة عظيمة ٠

وكان رضى الله عنه يكرم كل وارد عليه من أمير أو فقير ، أو غنى او صغير ، ويقدم لكل واحد ما يناسبه ٠ وكان كثير الأدب والحياء ، كريم النفس ، جميل المعاشرة ، خلو الكلام ، وكأن الله عجن طينة جسده من سـائر المحاسن ٠ وكان يتفقد كل من نام عنده فى المقام ، ويسأل عن القيام بواجب حقه واكرامه ٠ وبات عنده جماعة واشتروا عشاءهم ، فتكدر لذلك غاية التكدر وكان على وظيفة العرب فى الكرم والنحوة والمروءة ٠

وكان كثير الشفاعات عند الأمراء وغيرهم ، وكانوا يهابونه ويحلونه ، وكان مهيب المنظر ، عليه خفر العلماء العاملين ، والأولياء الصالحين ، كثير الصيام والقيام ، زاهدا ورعا عفيفا متقشفا فى ملبسه ومأكله ، لا يدخر شـيئا من الدنيا ، ولا يبيت على دينار ولا درهم ، يكسو الفقراء والمساكين ، ويتفقد الأيتام والأرامل ، وكثيرا ما يعرف المـاجور(٢) من الطعام ويضعه على باب الزاوية بعد المغرب ، فكل من رآه ذاهبا الى السوق يشترى عشاءه يقول له : تعال ٠ فيغرف له ما يكفيه ويكفى عياله ، توسع بما كنت عازما على شراء عشائك به ٠

---

(١) فى ا : متعشقين ٠

(٢) اناء من الفخار يستعمل للعجن فى الريف

وأوصافه الحسـنة تجل عن تاليفى ، فاسال الله أن ينفعنا ببركة اسلافه الطاهرين الكرام العظام آمين . مات رضى الله عنه ودفن بالقبة الكبيرة التى فى الجامع الأبيض ، وكانت جنازته مشهودة .

ورأيته بعد موته بشـهور وهو فى نعشه طائر فى الهواء جاء الى مقام سيدى عبد القادر فدخل فى شباك القبة ، فقلت له : ياسيدى ما لك انتقلت . فقال : ان الفسقية التى أنا فيها يدخلها المـاء من بركة القرع . فقلت ذلك لولده الشيخ ابى الحسن رضى الله عنه ، فقال : لعل مناءك صحيحا . ثم فتح الفسقية فوجد الشيخ عائما بكفنه . فعمل للشيخ دكة خشب ووضعه عليها . رضى الله تعالى عنه .

الشيخ شمس الدين الدمياطى

ومنهم الشيخ الامام العالم العلامة شمس الدين الدمياطى ، المقيم بخانقاه سعيد السعداء . كان محققا للعلوم ، كثير البكاء من خشية الله تعالى ، زاهدا ورعا عابدا ، لا يكاد ينام من الليل الا قليلا .

أخذ العلم عن جماعة منهم الشيخ زكريا ، والشيخ برهان الدين بن ابى شريف والشيخ كمال الدين الطويل ، والشيخ عبد الحق السنباطى . وأخذ التصوف عن سيدى محمد الطنبولى ، وعن الشيخ نور الدين الحسنى . وكان سمته سمت الصالحين وأعماله أعمال المتقين ، وكان يعيب على الفقهاء الذين يتوسوسون فى ماء الطهارة ولا يتوسوسون فى اللقمة(١) ، ويقول لهم : « لو عكستم الأمر لأفلحتم » .

صحبته نحو خمس سنين ، ثم مات ، وكانت جنازته مشـهودة ، وكان عازبا لم يتزوج قط ، وكان يطبخ بنفسه ، ويفرق على جيرانه ، ويطعم طلبته ويقول : ما أحوجنى الله الى النساء ، كابدت العزوبة سنة ، ثم ذهبت عنى شهوة الوطء .

---

(١) اى فى تحرى الحلال الخالص من العيش .

وكان كثير الذكر لله تعالى ، لا يكاد يغفل عن قول : الله ، الله ، الله ، فى حال درسه ، وفى حال عمله الشغل ، ويأمر رفقاءه(١) بكتمان ذلك ، فلم يظهر الأمر الا بعد موته • رضى الله تعالى عنه •

الشيخ شهاب الدين الحسامى

ومنهم الشـيخ الامام الفقيه الصوفى النحوى الشـيخ شهاب الدين الحسامى رضى الله عنه • صحبته نحو عشر سنين ، فما رايت وقتا دخل عليه وهو محدث ، وكان دائم الطهارة ، كثير الصمت والحياء والأدب ، يمكث اليومين واكثر لا يتكلم كلمة لغو ، وكان زاهدا ورعا كثير الصيام طويل القيام ، يقوم للتهجد من أول النصف الثانى من الليل ، وكان نهاره فى طاعة (الله)(٢) ، اما فى علم أو قراءة قرآن أو قراءة أوراده يقول من عاشره : ما ضبطنا عليه ساعة قط هو فيها غافل عن مصالح دنياه أو أخراه • وكان لا يأكل شـيئا من صدقات الناس ، ولا يقبل هدية من الولاة والقضاة والمباشرين والتجار الذين لا يتورعون فى كسبهم •

أخذ طريق التصوف عن جماعة منهم الشيخ على المرصفى رضى الله عنه ، وكان يذهب الى مجلسه كل جمعة ، وكان رجلا مهيب المنظر ، يتعمم بالقطن من غير قصارة(٣) ، وثيابه قصيرة على السنة المحمدية ، وكان يخدم نفسه ، ويشترى حوائجه من السوق بنفسه ، ولا يمكن احدا يحملها معه ، وكان العلمـاء يرجعون اليـه فى المعقولات ، ويعدلونه بابن هشام وابن مالك ، رضى الله تعالى عنهم •

مات رضى الله عنه سنة نيف وعشرين وتسعمائة ، رحمة الله تعالى •

---

(١) فى ا : ويأمرهم •

(٢) سقطت من ا •

(٣) أى من غير تبييض •

الشيخ عبد الخالق الميقاتى

ومنهم الشيخ الصالح العالم العلامة الشيخ عبد الخالق الميقاتى ، رضى الله عنه صحبته نحو خمس عشرة سنة . وكان عالمـا فى مذهب الامام ابى حنيفة ، وله الباع الطـويل فى علم المعقولات وعلم الهيئـة وعلم التصوف ، وكان وقته كله معمورا بذكر الله وغيره من الصالحات .

وكان كريم النفس ، لا ينقطع عنه الواردون فى ليلة من الليالى . وكان الفقراء [يحضرونه] ليلة الجمعة ، يتذاكرون عنده فى احوال الطريق الى الصباح ، وله سماط من أول من شهر رمضان الى آخره .

وكان دائم الصمت لا يتكلم الا لضرورة ، يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، لا تأخذه فى الله لومة لائم . وكان رضى الله عنه على طريقة الفقراء الأقدمين ، لا يعجبه احد من فقراء الزمان وعلمائه ، و [يقول] : لا ينبغى لأحد أن يتظاهر بطريق القوم(١) الا ان صدق فى طريقهم . وكان يكره لبس الزى ويقول : ليست الطريق بمثل ذلك ، وانما كان السلف يلبسون الصوف والمرقعات لقلة الحلال المناسب لمقامهم ثم يقول : وماذا يغنى لبس مئزر الصوف والجبة ، وصاحبها ينام الليل ، ويفطر النهار ، ولو أنه عكس الأمر لكان خيرا له . مات رضى الله عنه ودفن قريبا من جامع(٢) الملك . وكانت جنازته مشهودة .

الشيخ شمس الدين الجزرى

ومنهم الشيخ العابد الصالح ، العالم الزاهد ، الشيخ شمس الدين الجزيرى الغمرى الشافعى رضى الله تعالى عنه . كان على قدم عظيم فى حفظ اللسان والجوارح ، لا يكاد كاتب الشمال يجد شيئا يكتبه عليه الجمعة واكثر ، وكان وقته كله معمورا بالعلم والعمل والأوراد ، وما سمعته قط يذكر احدا بسوء ، ولا ياكل لأحد من غير المتورعين فى مكاسبهم طعاما .

---

(١) فى ا : يظاهر من القوم .

(٢) فى ا : بجامع .

وكان يحسب ماله ويخرج زكاته على التمام والكمال ، وكان كثير الصدقة سرا ، ويتفقد جيرانه بالطعام كل ليلة ، وكان حلو اللسان ، كثير الحياء ، كثير الأدب ، كثير الحلم والعلم . وبالجملة اوصافه الجميلة كثيرة . رضى الله تعالى عنه .

الشيخ نور الدين بن ناصر

ومنهم شيخنا العلامة حافظ العصر الشيخ نور الدين بن ناصر الشافعى ، رضى الله عنه ، كان يحفظ نصوص الشافعى واقوال مقلديه عن ظهر قلب ، لا يحتاج الى نظر فى كراس . وكان حسن المعاشرة [دائم] التبسم(١) ، لا تكاد تجده الا متبسما ، وكان النور يخفق على وجهه يدركه كل المؤمنين ، وكان محفوظه أكثر من الروضة(٢) . وكان فى تدريسه كالبحر الهدار .

أخذ العلم عن جماعة منهم الشيخ عبد الخالق السنباطى ، ومنهم الشيخ نور الدين المحلى . وكتب على مؤلفاتى احسن كتابة ، ومات سنة نيف وعشرين وتسعمائة رضى الله عنه .

الشيخ على الشافعى

ومنهم شيخنا العالم العلامة الشيخ على الشافعى رضى الله تعالى عنه . كان يجيب عن المسائل التى يسأل عنها ، وكان قل ان يكشف [فى كراسة] ، لأن مذهب الشافعى كان نصيب عينيه ، ومكث يفتى الناس أكثر من خمسين سنة كما أخبرنى بذلك فى مرض موته .

وكان ورعا زاهدا قليل الكلام ، وربما يمكث اليوم كاملا لا يتكلم بكلمة لغو ، وكان يشهد فى الصالحين ولا يقضى ، وسألوه أن يكون قاضيا فأبى ، وكان بيته خاليا من أمتعة الدنيا ، لا تكاد تجد فيه غير الابريق ،

---

(١) فى ا : المعاشرة والتبسم .

(٢) الروضة : كتاب فى فقه الشافعية شرح شيخ الاسلام الأنصارى .

وتختا(١) خلقا مفروشا تحته . وكان ملبسه اذا دخل بيته هديمات ، وعمامته شراميط .

ودخلت عليه فى مرض موته فقال : ياولدى ، خير الناس من خرج من الدنيا ولم يأخذ من أجر عمله شيئا ، لى خمسين سنة افتى فى هذه البلدة ، ومع ذلك لم يتفقدنى أحد فى هذه الضعفة برغيف واحد ، ولا بجديد(٢) ، ولا بقطعة سكر ، فالحمد لله رب العالمين .

مات قريبا من عشرين وتسعمائة ، رضى الله عنه .

الشيخ شهاب الدين القسطلانى

ومنهم شيخنا الصالح الشيخ شهاب الدين القسطلانى . كان عالما صالحا محدثا قارئا ، وكان من أهل الانصاف . كل من رد عليه غلطا أو سهوا يزيد فيه محبسة وتعظيما . ولما طالعت شرحه للبخارى سألنى بالله ان انبهه على كل موضع وقفت فيه . ولما وضع شيخ الاسلام زكريا الأنصارى شرحا للبخارى أخبرته بذلك ، فسألنى أن أحضر معه لشرحه ، فكل شىء عدل عنه الشيخ زكريا من عبارته أكتبه له ، فكنت اجمع له فى كل جمعة عدة أوراق ، تارة يأتى فيأخذها ، وتارة يرسل عبده فاعطيها [له] .

وكان رضى الله عنه من أزهد الناس فى الدنيا ، واحسنهم وجها ، طويل القامة ، حسن الشيب ، يقرأ القرآن بأربعة عشر رواية ، وكان صوته بالقرآن يبكى الناس ، وكان يقرا فى المحراب(٣) فيتساقط الناس من الخشوع والبكاء .

واقام عند النبى ﷺ سنين ، فحصل له جذب ، فصنف له كتاب

---

(١) التخت : الفراش .

(٢) أى بثوب جديد .

(٣) فى ا ، ب : وكان فى قراءة المحراب .

« المواهب اللدنية »(١) لما صحا ، وأوقف خصيا على خدمة الحجرة النبوية .

مات رضى الله عنه فى شهر ربيع الأول قريبا من العشرين وتسعمائة هجرية ودفن فى المدرسة العينية ، قريبا من الجامع الأزهر ، رحمه الله تعالى .

الشيخ شهاب الدين السمنودى

ومنهم شيخنا الامام المحدث الخطيب بالجامع الأزهر ، الشيخ شهاب الدين السمنودى الشافعى رضى الله تعالى عنه ، كان عالما ورعا زاهدا ، لم يأكل من معلوم وظائفه الدينية ، وانما كان ينفقه على العيال . ومرض مرة فلم يستنب فى الحضور ، فرد معلوم ذلك الشهر حين أتوه به .

وكان رضى الله عنه يقول : جهدت أن آكل من معلوم فلم يتيسر لى ، انما آكل من حيث لا أحتسب(٢) .

وانتهت اليه الرئاسة فى الفتوى مدة طويلة ، ثم انتقل الى المحلة الكبرى فاقام بجامع السد ، فلم يزل يفتى ويدرس فى العلم بها الى ان مات سنة احدى وعشرين وتسعمائة ، ودفن بمقبرة الشيخ الطريثى .

وكان لا يفتى أبدا فى الطلاق ويقول : انهم يتهاونون فى مسائل الطلاق خلاف الواقع ، فيعملون بفتياى بالباطل ، رضى الله عنه .

الشيخ شمس الدين الغزى

ومنهم شيخنا الامام العالم العلامة المفتى فى [العلم] الشرعية والعقلية الشيخ شمس الدين الغزى ، جعله السلطان الغورى اماما فى مدرسته بغير سؤال منه ، وقدمه على سائر علماء البلد الذين سالوا .

وكان مهابا لا يكاد أحد أن ينظر اليه الا ارتعد من هيبته ، وكانوا يحذرون الصبيان الذين يعرضون عليه محفوظاتهم ويقولون : لا تنظروا

---

(١) الكتاب مطبوع ، وشرحه الزرقانى فى ثمانى مجلدات .

(٢) فى الأصول : لم أحتسب .

المحراب غريبا ، لا يكان المقتدون يملون من سماعه ولو قرأ بنحو حزب قرآن .

وكان رضى الله عنه يفتى ويدرس طول النهار على طهارة كاملة ، ولم يضبطوا عليه غيبة فى أحد من أقرانه ولا غيرهم ، سمعته مرة يقول : جميع اعمال العبد اذا قبلها تعالى يوم القيامة ربما لا يرضى بها .

الشيخ جمال الدين الصافى

ومنهم شيخنا الامام العالم العلامة المحقق الشيخ جمال الدين الصافى الشافعى ، المدرس والمفتى بالجامع الأزهر رضى الله عنه . كان لم يزل يفتى ويدرس بالجامع الأزهر الى أن مات رحمة الله تعالى . وتخرج عليه جماعة كثيرة ، وهو من أجلاء طلبة شيخنا شيخ الاسلام زكريا رضى الله عنه .

وكان رضى الله عنه قوالا بالمعروف ، ناهيا عن المنكر ، يواجه بذلك الملوك فمن دونهم ، حتى أداة ذلك الى الحبس والضيق وهو مصمم على الحق ، رضى الله تعالى عنه .

الشيخ أمين الدين الامام بجامع الغمرى

ومنهم الشيخ الامام العالم العلامة المحدث الفقيه المقرىء الأصولى النحوى الصوفى الشيخ أمين الدين الامام بجامع الغمرى بالقاهرة رضى الله تعالى عنه .

كان زهدا كريما ورعا ، واسطة خير للناس فى قضاء الحوائج ، وكان يتفقد الأرامل والمساكين بالبر والاكرام ، وكان لا يدخل أحد مصر من الأولياء والعلماء الا ورد عليه ويكرمه وبجله ، كسيدى محمد بن عنان ، وسيدى محمد المنير ، وسيدى محمد بن داود ، وسيدى أبو بكر الحديدى ، وسيدى محمد الشناوى وسيدى عبد الحليم بن مصلح ، وسيدى على ابن الجمال واضرابهم . وهو أول من أخذت عليه الفقه والحديث والتفسير والأصول والنحو والسند وكتب الحديث .

وكان رضى الله عنه كثير العبادة والكشف والكرامات والاعتقاد التام من الخاص والعام ، وكان وقته محفوظا من تضييعه فيما لا يعنيه ، لا تكاد تجده قط فى ليل ولا نهار الا فى طاعة الله .

ومما رايته له من الكرامات اننى كنت اقرأ عليه فى شرح البخارى للقسطلانى ، باب جزاء الصيد ، فمررت [بقوله] : وفى التيتل عنز ، فقلت له : ما صفة التيتل ؟ فقال : ان شاء الله تراه فى هذا الوقت . فما مضى درجة الا والتيتل خارج من حائط ، حتى وضع فمه على كتفى ، فرايته ، ثم خرج التيتل من باب جامع الغمرى والناس ينتظرون الصلاة . قلت لجماعة كانوا هناك : ارايتم التيتل الذى خرج من المحراب ؟ فأنكروا ذلك وضحكوا ، فقصصت عليهم القصة مع الشيخ . فقالوا : هذه كرامة له .

وكان يقرا بالسبع فى المحراب بصوت ما سمع السامعون بمصر مثله . ولما ورد عليه أخو الساطان سليم الى مصر طلبوا له اماما يأتم به ، فاتفق اهل مصر على الشيخ أمين الدين ، فشاروا السلطان الغورى عليه فأجازه بذلك ، الى أن رجع الى الروم ، وسمع قراءته فى صلاة الصبح نصرانى من مباشرى القلعة فأسلم ، ورضى قلبه بالاسلام من حسن صوت الشيخ ، ورأيته يصلى خلفه الى أن مات .

وكان الشيخ ابو العباس الغمرى يقول : جامعنا هذا جنة ، وروحه الشيخ أمين الدين ، ومكث الشيخ اماما فيه سبعا وخمسين سنة ما ضبطوا ان الوقت دخل وهو على غير طهر ، وما ضبطوا عليه انه نام عن قيام الليل فى صيف ، ولا شتاء .

ورأيت جماعة من الخراطين بالقرب من الجامع الأزهر يأتون وقت الصبح يصلون خلفه ، وكان يقرأ بالأنغام المختلفة فى الصلاة لا يتكلفها . وكان جماعة السلطان الغورى الذين ينشدون عنده يأتون اليه فيتعلمون ، وكان اذا مرض يتكلف الوضوء ، فرأيته ليلة توفى يزحف الى ميضأة الجامع

وتوضأ ، فغلب عليه المرض فوقع فى الميضـأة بثيابه وعمامته ، فطلع وثيابه تقطر ماء فأحرم بالناس صلاة المغرب ، وصلى بهم كذلك ولم يترك صـلاة المغرب ، ثم مات بعـد صلاة العشـاء تلك الليلة ، رضى الله تعـالى عنـه .

وكان ملبسـه الثياب الزرق ، والعمامة القطن من غير قصـارة ، وله هيبة تؤثر فى القلوب ، ومع ذلك فى غاية التواضع مع العميان والأرامل والمسـاكين ويقضى حاجتهم من السوق ، ويحمل الخبز عن رأسـه من الفرق ، ولا يمكن أحدا [أن] يحمل ذلك عنه . وكان كل من رآه من الأكابر وهو حامل الطبق ينزل من على الفرس ويقبل يـده ، ويسايره ، ولا يقدر على الركوب حتى يفارقه الشيخ . وكان يجمع الزكاة ويفرقها على المحاويج ، حتى يرسل لأهلى صريراث الى بلاد الريف ، ولم يأكل منها شـيئا ، وكان اذا مقت انسانا لا يفلح بعدهـا أبدا . مقت نحو سبعة عشر نفسـا فرأوا فى انفسهم العبر ، ولم يفلحوا الا فى أعمال الدنيـا ولا فى أعمال الآخرة .

وكان كل يوم يفت الخبز اليانس وبسقيه بالشربة ، ويجمع العميان والأيتام ويتغذى معهم ولا يأكل وحـده الا لضرورة . وكان اذا قل المرق عن تسقية الخبز يصب عليه من الابريق ماء ، ويأكله ، ومناقبه رضى الله عنه كثيرة مشهورة .

مات رضى الله عنه فى ذى القعدة الحرام سنة تسـع وعشرين وتسعمائة ودفن بتربته خارج باب النصر رضى الله عنه ، ورأيته بعد موته روى لى حديثـا بالسريانية ، ففهمت معنـاه ، وهو قوله : روى أنس بن مالك أن رسـول الله ﷺ قال : « من واظب على النوم بعد صـلاة الصبح ابتلاه الله تعـالى بوجع الجنب » ، وكان بى وجع الجنب قبل ذلك ، وما كنت أعرف سببه ، فتركت النوم بعـد الصبح فزال عنى الوجع مع انى ما كنت

انام بعد صلاة الصبح الا يوم الجمعة لكونها ليلة سهر من العشاء الى الفجر ٠

ورأيته مرة أخرى ثانى ليلة من دفنه ، وجبهته تقطر دما حتى ظهر لونه من الكفن ، فقلت ذلك لولد ابنة الشيخ سيدى « أبو اللطف » فقال : رؤياك صحيحة ، فانا لما انزلناه القبر صدم جبهته حجر فخرج منه الدم رضى الله تعالى عنه والى وقتى هذا ما كنه فى شدة الا ورأيته فى منامى وحصل لى الفرج ، والحمد لله رب العالمين ٠

الشيخ نور الدين السمهودى

ومنهم العلامة الشيخ الصالح نور الدين السمهودى الضرير ، الامام بالجامع الأقمر رضى الله عنه قرأت علينا كتبا فى النحو والفقه والحديث ٠ وكان الخلائق مقبلين عليه ، لا تقوم طائفة الا وتدخل عليه أخرى ، حتى أن بعضهم اكمل درسه على السراج ٠

والف عدة كتب فى القراءات وفى النحو ، ونظم الأجرومية على روى الشاطبية وشرحها ٠ ورأيته مرات يأكل والناس يقرءون عليه ، لا يجد وقتا خاليا للأكل لكثرة اشتغال الناس عليه ٠

وكان له فروة كبش مغشاة بثوب طرح يلبسها صيفا وشتاء وكانت عمامته من غليظ المحلاوى ، يغسلها مرة فى السنة ٠

وكنت اذا دخلت عليه فى بيته تذكرت أحوال السلف ، ليس فيه طرقة ، ولا صندوق ، ولا شىء من أمتعة الدنيا ، وكان كثير الصمت والخشية لله تعالى ، ولا تزال عيناه تهملان الدموع ٠

وكان رضى الله عنه : ما بقى للفقيه فى هذا الزمان أحسن من الوحدة ، وعدم التردد للناس ، وما دام الناس عنه غافلون فهو بخير والفتنة كلها فى الشهرة وكان يديم التدفى بالنار فى الشتاء حتى صارت أوراكه مسودة من ذلك ، وطلبوا شيئا فقال : مالى وللدنيا وما بقى الا القليل ونقدم على الله تعالى ، وننسى كل مؤثر فى الدنيا ٠

مات رضى الله عنه سنة ثلاث وتسعمائة رضى الله عنه ٠

الشيخ ملا على العجمى

ومنهم الشيخ الصالح العلامة المفتى فى العلوم العلامة الشيخ ملا على العجمى الذى كان مقيما بتربة نائب جدة خارج باب القرافة ، رضى الله عنه ، كان اماما فى الفقه ، والتفسير ، والمعقولات ، والتصوف • قرأت عليه عدة كتب ، وانتفعت بصحبته •

وكان كثير الأدب والحياء ، كثير الصمت ، لا يكاد يتكلم كلمة واحدة الا ان كلمة أحد ، وكنت اشبهه بسيدى على المرصفى رضى الله عنه فى الهيبة والوقار وكان حسن الاعتقاد تابعا هدى أهل السنة والجماعة ، محبا لجميع الصحابة ، عابدا ناسكا خاشعا خائفا ، مجلسه كله مجلس علم وادب ، وحياء ووقار ، ويجيب على الأئمة المخالفين لامام مذهبه بأحسن جواب •

مات رضى الله عنه فى محل اقامته خارج القرافة ، وكانت جنازته مشهودة رضى الله عنه •

الشيخ بدر الدين المشهدى

ومنهم الشيخ العلامة المحدث الفقيه الصوفى الشيخ بدر الدين المشهدى رضى الله عنه كان عالما صالحا كثير العبادة ، من صيام وقيام وكف لسان ، محبا للخمول وعدم نشر الصيت اذا رآى أحد يقرأ عليه فتح له ، والا اغلق باب داره ، فقلت له يوما : ما أصبرك على الوحدة يا سيدى ! فقال : من كان مجالسا لله تعالى فما ثم وحده ، وقد جاوزت الأربعين سنة وما بقى يناسبنا الا الجد والاجتهاد وعدم الغفلة عن الله تعالى ، ثم قال لى : هكذا أدركنا الأشياخ خلاف ما عليه أهل هذا الزمان ، فيعلم أحدهم بعض المسائل ، فيودون لو عرف بها جميع أهل الأرض •

ثم قال لى : يا ولدى والله انى الآن فى غم شديد لفقد تلك

الأشياخ . كانت رؤيتهم عبادة(١) ، وكان رضى الله عنه يقول : مدح الناس للعبد قبل مجاوزة الصراط كله غرور فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

الشيخ نور الدين المحلى

ومنهم الشيخ العالم العلامة محقق الديار المصرية الشيخ نور الدين المحلى الشافعى رضى الله تعالى عنه ، كان كالجبل الراسى فى كمال العقل والهيبة والوقار ، غزير الدمعة اذا ذكرت أحوال السلف ، وكان مشهورا فى مصر بحل مشكلات العبادات فى الأصول والفقه والمعانى والبيان وغير ذلك . وتفقه عليه خلائق لا يحصون . منهم الشيخ شهاب الدين عميرة ، والشيخ عبد الحميد السمهودى رضى الله عنهما .

لم يزل على نعت الاستقامة من الزهد فى الدنيا والاعتقاد الحسن فى طائفة الصوفية ، عكس ما كان عليه شيخه برهان الدين البقاعى ، وأخبرنى مرة شيخه فقال لى : يا ولدى ، انما أنكر على هؤلاء القوم خوفا على الناس ان نتلف عقائدهم بعدم سلوكهم الطريق ، وتعذر معرفة كل [أحد] باصطلاحهم فى ألفاظهم ، فرأيت التنفير عن كلامهم أحسن للناس وأصلح ، والا فأنا بحمد الله معتقد فى الشيخ محيى الدين بن عربى وسيدى عمر بن الفارض ، وبتقدير عدم الاعتقاد فيهما ، فانما أنكرت على العبارة التى نسبت اليهما(٢) ، وقد لا يكون ذلك كلامهما ، وقد دس الملاحدة شيئا كثيرا فى كلام الأئمة بغير علمهم .

---

(١) لأن رؤيتهم تذكر الانسان بالله ، وترده اليه ، فمن ثم كانت عبادة .

(٢) وهى بالطبع العبارات الموهمة للحلول . أنظر آراء العلماء فى هذه العبارات فى مقدمة كتاب العبادلة للشيخ الأكبر نشر مكتبة القاهرة بالأزهر .

ولما وقعت المحنة امام السلطان الغورى فى أمر الرجل الذى اعترف بالزنائم اختلف القضاة الأربعة ، أرسل يسأله ان يتولى قاضى القضاة فى مذهب الامام الشافعى بغير سؤال ، عبس فى وجه قاصد السلطان وقال : قل للسلطان : ان كان على المحلى ضيق عليك فهو يرحل عنك الى التكرور ، ولم يجب السلطان الى ذلك رضى الله تعالى عنه .

الشيخ شهاب الدين المسيرى

ومنهم الشيخ الامام العالم الزاهد الصالح الشيخ شهاب الدين المسيرى الشافعى رضى الله عنه ، كان جبلا راسخا فى العلوم الشرعية والعقلية ، وهو مع ذلك لا يغفل عن قضاء حوائج الناس عند الأمراء والأكابر ، وكانوا كلهم منقادين له لعفته وزهده فيما بأيديهم ، فكم أطعم جائعا ، وكم كسى عريانا ، وكم وزن مهر فقير ، وكم أوفى دينا .

وكان كثيرا ما ياتيه الفقير يسأله الشفاعة وهو يدرس ، فيترك الدرس ويقوم معه ويقول : هذه ضرورة ناجزة ، وضرورة الحاجة الى هذا العلم متراخية ، وقد لا يحتاج أحد الى تلك المسائل التى نبحث فيها .

وكان رضى الله عنه قواما بالليل صواما بالنهار ، رث الهيئة فى الثياب ، مع الهيبة والوقار ، صغير العمامة على قبع(١) جوخ ، لاتكاد تجده ليلا ولا نهارا الا مشغولا فى مصالح غيره حتى [صار] سداه ولحمته خيرا رضى الله عنه .

الشيخ ابو النجا الفوى

ومنهم الشيخ الامام الفقيه المحدث الصوفى المتفنن فى سائر العلوم التى بأيدى الناس ابو النجا الفوى رضى الله تعالى عنه صحبته سبعة ايام . كان جبلا راسخا فى علم القراءات والحديث والتفسير . وكان رضى الله عنه فى آخر درسه فى الجامع الأزهر ففسر من أول [سورة] الهمزة

---

(١) القبع : القلنسوة

الى وجه الشيخ تذهلون عن حفظكم من هيبته • وكان رضى الله عنه فى الى آخـر القرآن ، وتكلم فى ذلك المجلس على اربعة عشر علما فى كل آية حتى بهر العقول ، حضره جميع المدرسين بالجامع الأزهر ، وكان ذلك آخر مجالســه ، ثم ســافر الى بلاده فمات • وكان له القبول التــام عند الخاص والعام ، وكان كثير الكرامات •

أخبرنى سبطه أن شخصا عمل كعك العيد فقال للشيخ : نريد شـيرجا ، فأرسل فملأ شـيرجا من البحر الذى تحت بلده فى مدينة فوه الى أن اكتفى وقال انى لمـا غرفت من البحر نظرت الى الاناء وهــو يسيل من جوانبــه •

وكان اذا بلغ أهل مصر أن الشيخ وصلت مركبه الى ســاحل بولاق يذهبون اليه أفواجــا يتلفونه فرحا به كيوم العيد • وفى موته شــاع فى بلاده انه القطب تلك الليلة ، فمكث فى القطبية دون الليلة ، فذلك كان هجير اصحابه فى جنازته « هــذه جنازة عاشق ليلة وصالة » ولم يزالوا على ذلك حتى دفن رضى الله تعالى عنه •

وكان كثير الكشف ، لا يكاد يخطر على جليسه ســؤال الا قال له : الزم الأدب • فان لا يتجزأ على مجالسته الا قليل من الناس •

قلت : وأخذ عنه خلائق القوم • وكان اذا لقن انسانا يصير يسمع نطق الموجودات كلها والجمادات ، وكان لطيف المحاضرات ، لطيف المزاح ، يكــاد اذا سمع صوتا طيبا أن يذوب عشــقا ، وذلك من علامة القطب ، وله نظم شــائع كثير • نظم الروضة فى الفقه ، ونظم المنهاج ، وشرح المغنى لابن هشام فى ست مجلدات • وأكثر مؤلفاته فى التصوف • وله موشــحات غريبة منها :

أيهــــا النـــاموس يطلـــع كالقـــادوس
مـــلا وانـدق روس دخـــان المشـــغل
ودقات الطبول وافعل لا تفعل تحير فيها العقول
ما اســرع ما يعــزل واخرج عن ذلك يا حــزين

سطر ما فاتك على طول السنين

يا عبد القدوسْ نقعد وعبوس
تحمد للدبوس وللمسكين تدوس

الى آخر ما قال • ومناقبة كثيرة مشهورة بقوة • رضى الله تعالى عنه •

الشيخ نور الدين الجارحى

ومنهم الامام العالم العلامة المقرى المحدث الفقيه النحوى الشيخ نور الدين الجارحى رضى الله عنه • كان قليل الضحك ، مهيب المنظر ، كثير الصمت قليل المخالطة للناس ، ليله ونهاره فى طاعة ربه ، وكان قد انفرد فى مصر بعلم القراءات وهو الشيخ نور الدين السمهودى • وكان يقرىء الأطفال تجاه جامع الغمرى • وكان اذا نظر الى الطفل يرعد من هيبته • وكان مذهب الامام الشافعى كله نصب عينيه ، وما دخل عليه وقت الا وهو على طهارة ، رضى الله عنه •

الشيخ شهاب الدين بن عبد الكافى

ومنهم الشيخ الامام العالم العلامة القاضى شمس الدين بن عبد الكافى كان يقضى فى مجلسه خارج باب القدس ، والناس يقرعون عليه العلم ، وكان لا يأخذ على القضاء أجرا وكان طويلا سمينا ، ومحاشمه قدر بطيختين كبيرتين ، ومع ذلك كان يتوضأ لكل صلاة من الخمس • وكانت محاشمه دائما مشدودة بفوطة مربوطة فى وسطه حتى يقدر على الاستنجاء • وكنت أستدل على دينه وكثرة تقواة بذلك ، فانى رأيت من كان بحالة ترك الصلاة والاستنجاء فى غالب أوقاته • رضى الله تعالى عنه •

وما سمعته مدة قراءتى عليه يذكر أحدا من أقرانه الذين يرون نفوسهم عليه الا بخير ، وكان كثير الصمت ، كثير الصيام طلبا للهزال فيزيد سمنه ، وكان حلو المنطق ، جميل المعاشرة ، كريم النفس • رضى الله عنه •

ومنهم الشيخ الامام العالم الصالح ، خاتمة المحققين بمصر والحجاز والشام الشيخ شهاب الدين الرملى الشافعى الأنصارى رضى الله عنه ، وبلده صغيرة قريبا من البحر من منية العطار تجاه مسجد الخضر عليه السلام بالمنوفية .

وكان رضى الله عنه ورعا زاهدا عالما صالحا حسن الاعتقاد للخلق ، لا سيما طائفة الصوفية ، يجيب عن أقوالهم بأحسن الأجوبة ، ويذكر عنهم المستظرفات من الحكايات . انتهت اليه الرياسة فى العلوم الشرعية ، وعاش حتى صار علماء الشافعية بمصر كلهم تلامذته ، فلا يوجد الآن عالم شافعى الا وهو من طلبته ، أو طلبة طلبته . وارسلت اليه الأسئلة من سائر الأقطار ، ووقف الناس عند قوله أكثر ممن أدركناهم من أشياخه وكان يخدم نفسه ، ولا يمكن أحدا يشترى له حاجة من السوق الى أن كبر وعجز .

وكان جميع علماء مصر حتى المجاذيب يعظمونه ويجلونه ، لا سيما الشيخ نور الدين المرصفى ، وسيدى على الخواص رضى الله تعالى عنهما ورأيت مرة سيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه وهو يقول : شكر الله فضلكم . فقلت له : ما سبب ذلك ؟ فقال : انه سمع شخصا من اخوانه يذكرنى بعد موتى بسوء فعادة من أجلى . فقلت له : وهل يبلغكم ما يفعله الناس بعد موتكم ؟ فقال : نعم(١) . فقلت ذلك للشيخ شهاب ، فقال لى : أمارته صحيحة ، وعلق لى ذلك الشخص .

ومن خصائصه أن شيخ الاسلام زكريا أذن له أن يصلح فى مؤلفاته فى حياته وبعد مماته ، ولم يأذن لأحد سواه فى ذلك . وأصلح عدة

---

(١) ليست الروح محصورة فى عالم من العوالم ، بل هى مطلقة ، ولا سيما أرواح الصالحين ، فلا مانع مطلقا من صحة هذا القول .

مواضع فى شرح البهجة وشرح الروضة فى حياة شيخ الاسـلام ، وانا حاضر لم اطالع له ، ويقول من رآه : ما رايت مثله ٠

وشرح كتـاب الزبد فى الفقه شرحا عظيما ، وكتبوه وقراوه عليه ٠ جمع مؤلفاته غالب ترجيحاته وتحريراته ٠ وجمع الخطيب فتاويه فصارت مجلدا ٠ وكان يقول : الشيخ نور الدين الطندتاوى محقق الدرس ، والشيخ شمس الدين الخطيب جامع المسـائل النوادر فى الدرس ٠ وسمعت هـذا القول منه مرارا ٠

وكان رضى الله عنه يحبنى اشـد المحبة ، محبة السيد لعبده ، وحصل لى مرة مرض أشرفت فيه على الموت ، وجاءنى عائدا هو وولده سيدى محمد ، فصار الشيخ يدعو وولده يؤمن ، وأنا اشهد دعاء الشيخ صاعدا الى السماء كالصواعق من شـدة الهمة والعزم ، فما فارقنى حتى خلصت من ذلك المرض ٠

مات رضى الله عنه مستهل جمادى الآخرة سنة سبع وخمسين وتسعمائة ، وصلوا عليه يوم الجمعة فى جامع الأزهر ٠ وما رايت فى عمرى جنـازة اجتمع فيها خلائق مثل جنازته ، وضاق الجامع من صلاة الناس فيه ذلك اليوم ، حتى أن بعضهم خرج وصلى فى غيره ، ثم رجع للجنازة قريبـا من جامع الميدان ، خارج باب القنطرة ، واظلمت مصر وقراها يوم موته ، لكونه كان مردا للعلماء فى تحرير نقول المذهب ٠

وانما ختمنا هـذا الباب به لتأخير وفاته عمن ذكر قبله ، والا فهو أعلم فى اعتقادنا من جميع اقرانه ٠ رضى الله تعالى عنه ٠

الفصـل الثـانى

في ذكر جماعة ممن أدركناهم وحظينا بصحبتهم ، من غير أن نقرأ
عليهم شـيئا من العلوم . اما لا ستغنائنا عن القراءة عليهم
بالقراءة على مشايخهم ، واما لكونهم مخالفين لنا فى
المذهب ، لكنا كنـا نراجعهم فى وقائع الأحوال
رضى الله تعـالى عنهـم أجمعـين

الشيخ جلال الدين بن القاسم

فمنهم شيخ الاسـلام العالم العامل ، الورع الزاهد ، الشيخ جلال الدين بن القاسم المـالكى رضى الله تعـالى عنه . صحبته سنتين ، وترددت عليه كثيرا ، وانتفعت بلحظه وحسن سمته . وكان كثير المراقبة لله تعالى فى أحواله . وكانت أوقاته كلها معمورة بذكر الله عز وجل .

شرح المختصر والرسالة(١) ، وانتفع به خلائق لا يحصون . ولاه السلطان الغورى القضاء كرها . وكان حسن الاعتقاد فى طائفة القوم . ولمـا انكر الشيخ محمد التكرورى المـالكى على سيدى عمر بن الفارض قال له : يا محمد ، مالك وللسم تجربه فى نفسـك(٢) . فلم يرجع عن انكاره ، فما مضى ثلاثة أيام الا وفر الناس من ذلك التكرورى ، ولم يعد احد يقرأ عليه علما .

وكان يحفظ مدونة [مذهب] الامام مالك وشرح مذهبه عن ظهر قلب ، واقبل عليه أهل مصر اقبـالا عظيما قبل انكاره ، ثم خرج الى بلاده فقتل فى الطريق .

---

(١) يعنى مختصر خليل ورسـالة ابى زيد القيروانى فى فقـه المـالكية .

(٢) لأن لحـوم العلماء مسمومة كما يقولون . ما اغتابهم احـد الا أصيب على الفـور .

وكان الشيخ جلال الدين أكثر أيامه صائما ، لا يفطر فى السنة الا العيدين وأيام التشريق وكان حافظا لسانه فى حق أقرانه ، لا يسمع أحد يذكرهم الا ويجلهم ويقول : نفعنا الله تعالى ببركتهم · رضى الله تعالى عنه ·

الشيخ نور الدين الطرابلسى

ومنهم شيخ الاسلام المجمع على صلاحه وعلمه وزهده وصيامه وضبط لسانه ، الشيخ نور الدين الطرابلسى · كان متفننا فى العلوم ، وكتب لى على عدة من مؤلفاتى ، وزارنى كثيرا فى بيتى لما انقطع عنه لعذر ، فكنت أكاد أذوب من الحياء منه ·

وكان رضى الله عنه متواضعا حسن الظن بالمسلمين ، وكان يؤذن فى شباك زاويته عند كل وقت من الخمس بصوت حسن وخشوع وتدبر أيام ولايته الى أن مات · وكان لا يأكل قط من معلوم محكمته شيئا مع أنه ولى كرها · وكان كثير الصدقة سرا وجهرا ·

ولما عزله بعض قضاة العساكر لم يزل ملازما بيته على النسك والعبادة والافتاء · والتدريس الى أن مات ·

وأنكر عليه بعض قضاة الأروام لافتائه بمذهبه الراجح عنده ، وكاتبوا فيه السلطان فأمر بنفيه أو قتله ، فوصل المرسوم بعد موته ، بعد أن دفناه ، فكانت هذه كرامة رضى الله تعالى عنه ·

ولما اشتدت المحنة عليه قبل موته بثلاثة أيام رأيت فى المنام لوحا نزل من السماء فى سلسلة تجاه بيت الشيخ محب الدين بن الدهانة · مكتوب فيه أيدنا الشيخ على الطرابلسى بالشيخ محب الدين بن الدهانة · فكان الأمر كذلك ، وحصل على يديه الفرج والسرور رضى الله تعالى عنه ·

الشيخ شمس الدين الحنفى

ومنهم سيدنا ومولانا شيخ الاسلام الشيخ شمس الدين الحنفى المرسى رضى الله تعالى عنه . صحبته بنحو عشرين سنة فما أظن كاتب الشمال كتب عليه شيئا ، وكان رضى الله عنه لا يكاد يسمع منه كلمة لغو .

وأخبرنى رضى الله عنه أنه صلى الصبح بوضوء العتمة أربعين سنة . وأخبرنى جماعة كان يقرؤون عليه أن من كراماته أن الله يأخذ سمعه اذا كلمه احد بغيبة أو كلام فاحش حتى كأنه اصم(١) . وهذا حفظ من الله العظيم ما سمعناه الا عن سيدى محمد بن زين بالنحارية رضى الله عنه .

وكان عالما بالقراءات السبع . ولاه السلطان الغورى مشيخة الاسلام كرها عليه . وكان عامة ليلة فى بكاء ومراقبة وتهجد الى الصباح ، فيكحل عينيه ، ويدهن وجهه حتى كأنه بات ليله نائما . وشرح كتاب المختار شرحا عظيما ، وسافر الى مكة المكرمة فمات بها رضى الله تعالى عنه .

الشيخ شمس الدين التتاوى

ومنهم الشيخ الامام العلامة شمس الدين التتاوى المالكى رضى الله عنه المقيم فى المدرسة الشيخونية . شرح الرسالة شرحا عظيما ، وشرح عدة كتب ، لم يزل على قدم الزهد والورع ومحبة الخمول(٢) وعدم التردد على الأكابر الى أن مات . وكان وقته كله معمورا بالعلم والعمل والأوراد ، ما زرته قط الا ورايته مشغولا بالله عز وجل .

---

(١) مثل ذلك حدث للحارث المحاسبى رضى الله عنه إذا كان فى يده عرق يضرب اذا قدم اليه طعام مشكوك فى حله .

(٢) يعنى عدم الشهرة .

واخبرنى جماعة من الصوفية من جيرانه انه لا ينـام من الليل الا قليلا على الدوام ، وكان كثير الصيام ، وكان لا ياكل لاحد من الظلمة وأعوانهم شيئا . وأجمع الناس على جلالته وتحريره لنقول مذهبه ، وحفظ جوارحه الظاهرة والباطنة رضى الله تعالى عنه .

الشيخ شهاب الدين بن الحلبى

ومنهم الشيخ الامام العالم الصالح الناسك الزاهد المجمع على جلالته الشيخ شهاب الدين بن الحلبى الحفنى رضى الله تعالى عنه . كان على جانب عظيم من الخشية والخوف من الله عز وجل ، وحلف لا يأتينى للزيارة الا ماشـيا ووفى بذلك الى ان مات .

وكان كثير الصدقة على الفقراء والمسـاكين ، لم يكن فى أقرانه اكثر صدقة منه ، وكان حسـن الاعتقاد فى طائفة الفقراء والمجاذيب وارباب الأحوال كثير الحيـاء والحلم والعفو والصفح ، لا يواجه احـدا بما يكره ولو فعل معه ما فعل . ورأى مرة شخصا يشتم آخر . فوقف وقال : يا أخى تأدب مع الملكين الكاتبين . ايسرك أن تلقى يوم القيامة هـذه الألفاظ فى صحيفتك ؟ فاستغفر الشخص وقبل يد الشيخ .

وزرت انا وإياه راس الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما وكان عنده شـك أن الرأس هناك . فلما أخذ الشيخ فى التوجه الى حضرة الامام الحسين رآه مقطوع الراس فقال : يا امام ، اين رأسك ؟ فسمع الصوت من داخله يقول : ان راسى فى مصر ، وعمر عليها طلائع بن رزيك مسجدا عظيما .

فافاق من التوجه ، واخبرنى بالقصة ، ثم ثقلت راس الشيخ . فبينما هو بين النائم واليقظان اذا راى (الامام)(١) . الحسين خرج من الضريح ، ودخل حائط القبة ، وصار يمشى ، ونظر الشيخ يتبعه الى

---

(١) سقطت من أ .

ان دخل الحجرة النبوية الشريفة فقال : يا رسول الله ، ان احمد بن الحلبى وعبد الوهاب الشعرانى يزوران راس الحسين • فقال رسول الله ﷺ : تقبل الله منهما • ثم افاق الشيخ فتواجد فوقعت عمامته وقال : قد تحققت ان رأس الامام ههنا ، وما زال يزورها الى ان مات رضى الله عنه(١) •

وكتب على عدة من مؤلفاتى أحسن كتابه ، ورأى فى كتابى «العهود» موضعا لم يفهمه فأراد أن يصلحه فنام فسمع قائلا يقول له : أن اصلحت فى هذا الكتاب شيئا سلبناك الايمان ، فجاءنى بكرة النهار وهو يرعد ، وحكى لى القصة ، فقلت : مراد القائل : سلب ايمانك بصدق عبد الوهاب ، وهذا أمر لم يكلفك الله به ، فقال : فرجت عنى فرج الله تعالى عنك كرب يوم القيامة ، ثم قلت له : مرادى بهذا الكلام كذا وكذا • فكشف راسه واستغفر وقال : انا جاهل بمصطلح القوم •

وكان مرضه الذى مات فيه حصر البول ، فلم يزل الى ان مات • وكانت جنازته حافلة بالأمراء والعلماء والتجار والقضاة حتى ما وجد أحد فى باب النصر مكانا خاليا من الناس ، ودفن خارج باب النصر ، تجاه المدرسة الحاجبية ، وقبره ظاهر يزار ، رضى الله عنه ، ونفعنا ببركاته فى الدنيا والآخرة •

الشيخ شهاب الدين البرلسى

ومنهم الامام العلامة المحقق الشيخ شهاب الدين البرلسى ، الملقب بعميرة الشافعى ، رضى الله عنه صحبته نحو عشرين سنة ، وكان عالما زاهدا حسن الأخلاق والشيم ، له سمت حسن ، وانتهت اليه الرياسة

---

(١) مثل هذه المشاهد فى حالة التوجيه تكون قلبية قريبة من اليقين المحسوس أما فى حالة الفهوانية الثانية فهى رؤيا فى عالم المثال تتوقف صحتها على صفاء القلب •

فى تحقيق المذهب ، ولم يزل يدرس ويفتى الناس حتى مرض الموت ، وكان مرضــه بالفالج ، فأقام به نحو سنة ثم مات .

أخذ العلم عن جماعة منهم شيخ الاسلام الشيخ عبد الخالق السنباطى، ومنهم شيخ الاســلام الشيخ برهان الدين بن ابى شريف ، ومنهم الشيخ نور الدين المحلى ، رضى الله تعالى عنهم أجمعين ، وكتب على مؤلفاتى أحسن كتابه ، رضى الله تعالى عنه .

الشـيخ محمد الشـامى

ومنهم الشيخ الصالح الزاهد المتمسك بالسنة ، الشيخ محمد الشامى ، نزيل تربه البرقوقية ، رضى الله عنه . كان عالمــا صالحا متفننا فى العلوم ، والف السيرة النبوية المشهورة التى جمعها من الف كتاب ، واقبل الناس على كتابتها ، ومشى على نموذج لم يسبق اليه .

وكان عزبا لم يتزوج قط ، وكان رضى الله عنه اذا قدم عليه الضيف يعلق القدر ويطبخ له ، وكان حلو المنطق ، مهيب المنظر ، كثير الصيام والقيام ، بت عنده الليالى فما كنت أراه ينام فى الليل الا قليلا .

وكان اذا مات أحد من طلبة العلم وخلف اولادا قاصرين وله وظائف، يذهب الى القاضى ، ويتقرر فيها ، ويباشرها ، ويعطى معلومها للأيتام حتى يصلحوا للمباشرة .

وكان لا يقبل من مال الولاة وأعوانهم شـيئا ، ولا يأكل من طعامهم، وذكر لى شخص من الذين يحضرون قراءة سـيرته فى جامع الغمرى أن ساله فى اختصار الســيرة ، وترك الفاظ غريبها ، وأن يحكى السيرة على وجهها كما فعل ابن سيد الناس ، فرأيته بين القصرين ، واخبرته الخبر ، فقال : شرعت فى اختصارها من مدة يومين ، فرأيت ذلك هو الوقت الذى سألنى فيه ذلك الرجل وكانت عمامته نحو سبعة أذرع على عرقية لم يزل غاضا طرفه كما هو ســواء كان ماشـيا أو جالســا ، رضى الله عنه ، وأخلاقه الحسنة كثيرة مشهورة .

الشيخ عبد الرحمن الشامى

ومنهم الشيخ العالم الفقيه النحوى الصوفى عبد الرحمن الشامى، المدرس نجانقاه سعيد السعداء . كان يتعم بالصوف ، وله كشف تام ، وتحقيق فى العلوم الشرعية ، واقبلت الأمراء والأكابر عليه ، واعتقدوه اعتقادا تاما ، ورأيت مرة أمير كبير قد باس يديه وهو ماد رجليه .

الشيخ فخر الدين السنباطى

ومنهم الشيخ الامام العالم العلامة فخر الدين السنباطى الشافعى رضى الله تعالى عنه .

كان عالما صالحا ورعا عابدا زاهدا ، ولما ضربوا القانون على القضاة عزل نفسه من القضاء . وكان يقضى فى بلاده قياما بفرض الكفاية ، لا يأخذ على ذلك عوضا . فقلت له : يتعين عليك ذلك ، فرجع وطلب الولاية .

وكان يفصل بين الخصمين ويغديهما ويعشيهما ، ويعلف دوابهما ، وبت عنده ليالى فما رايته ينام الليل الا قليلا ويبقى طول الليل قائما يتهجد ويتلو القرآن ويبكى حتى يكاد يخر من البكاء ، وكان قليل الكلام حسن السمت ، اخذ العلوم عن جماعة منهم : الشيخ كمال الدين الطويل ، والشيخ برهان الدين بن ابى شريف ، والشيخ زكريا ، وصحب شيخنا محمد الشناوى ، وانتفع به رضى الله تعالى عنه .

الشيخ شمس الدين الترجمان

ومنهم الشيخ الامام العالم العامل المرابط الشيخ شمس الدين الترجمان رضى الله تعالى عنه ، كان رفيقا للشيخ فخر الدين السنباطى ، والشيخ ناصر الدين الطبلاوى ، افتى ببلاده ودرس وانتفع به خلائق كثيرة وكان آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر ، حتى ازال المنكرات ببلاده كلها ، وكان شيخا شجاعا راميا لا يكاد سهمه يخطىء ، وكان اذا جاء الى مصر يزورنى تفضلا منه ، صحبته نحو عشر سنين ، الى أن مات رحمه الله تعالى .

الشيخ شـهاب الدين بن عبد الخالق

ومنهم الامام العلامة العامل الورع الزاهد الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر الشـيخ شهاب الدين بن الشـيخ عبـد الخالق السـنباطى ، الواعظ بجامع الأزهر رضى الله عنه ٠

لم يزل احد من الوعاظ يقبل عليه الخلائق مثله ٠ كان اذا نزل من فوق الكرسى يقتتل الناس عليه ، ومن لا يصل اليه يرمى شـدة حتى يلمس ثيابه(١) ثم يأخذه فيمسح به وجهه ٠

وكان مفتيا فى العلوم الشرعية ، وله الباع الطويل فى الخـلاف العالى(٢) ، ومعرفة مذاهب المجتهدين ، وكان من رؤوس اهل السـنة والجماعة ، ومن نسبه الى ضـد ذلك فقد افترى اثما عظيما ٠

طالع كتابى « العهود » (٣) من أوله الى آخره ، واعجب به ، ونقل منه على الكرسى عدة عهود وانا اسمع ، ولمـا رمانى بعض من لايخشى الله تعالى ببعض بهتان انتصر لى من فوق الكرسى ثلاث مجالس حتى رجع ذلك المفترى عنى ٠

ولمـا مات رضى الله تعالى عنه اظلمت مصر لموته ، وانهدم ركن عظيم فى الدين ، وكان الشيخ قـد اشتهر فى اقطار الأرض كالشـام والحجاز واليمن والروم وصاروا يضربون به المثل واذعن له علماء مصر الخاص منهم والعام ، عمل الحسـدة له مكائد عند نواب مصر ، ونجاه الله تعالى منهم ، وهدم كذا وكذا كنيسة ، وبيعة رضى الله تعالى عنه ٠

---

(١) اى ثوبا أو عمامة او نحوها ٠

(٢) اى الخلاف بين الأئمة الأوائل ٠

(٣) يظهر انه يريد « البحر المورود فى المواثيق والعهود » لأنه هـو الذى احدث ضـجة ، اما الأنوار القدسـية فى العهود المحمدية فلم يحـدث شـيئا ٠

وما رايت فى عمرى اكثر خلقا من جنازته الا جنازة الشيخ شهاب الدين الرملى لكونهم صلوا عليه يوم الجمعة ، رضى الله تعالى عنه .

الشيخ ابو الحسن البكرى

ومنهم الشيخ الفقيه الصوفى المحدث ، نادرة الزمان الشيخ ابو الحسن البكرى رضى الله عنه ، اخذ العلوم عن جماعة من مشايخ الاسلام ، والتصوف عن الشيخ رضى الدين الغزى ، وتبحر فى علوم الشريعة من تفسير وحديث وغير ذلك .

وكان رضى الله تعالى عنه اذا تكلم فى علم منها كأنه بحر زاخر ، لا يكاد السامع يتحصل من كلامه على شىء ينقله عنه لوسعه الا ان كتبه فى قرطاس . واخبرنى بلفظه ونحن بالمطاف انه بلغ درجة الاجتهاد المطلق ، وقال : انا اكتم ذلك عن الأقران خوفا من الفتنة ، وسبب ذلك كما وقع لجلال السيوطى رحمه الله تعالى ، هذا لفظه .

وكانت مدة اشتغاله على الأشياخ مدة سنتين ، ثم جاءه الفتح من الله تعالى واشتغل بالتأليف ، ولم يزل على ذلك الى ان مات ، وهو اول من حج فى محفة ثم تبعه الناس ، وقد عاشرته من حين كان بلا لحية ، فما رايت عليه شيئا يشينه فى دينه ، بل تربى فى نزاهة وعفة وطاعة وعزة فى نفس اهل الدنيا ، لم يزل قط فى تحصيل معاشه لغيره ، بل كانت الدنيا تأتيه وهى راغمة ، وذلك كمال على كمال .

وحججت معه مرة فما رايت اوسع اخلاقا منه ، ولا اكثر صدقة فى السر والعلانية ، فكان لا يعطى احدا شيئا نهارا الا نادرا ، واكثر صدقته ليلا ، وكان له الاقبال العظيم عند الخاص والعام فى مصر والحجاز وشاع ذكره فى اقطار الأرض كالشام والروم واليمن والتكرور والمغرب مع صغر سنه رضى الله تعالى عنه .

وكانت له كرامات كثيرة وخوارق وكشوفات فما قاله او وعده لا يخطىء وترجمة الناس بالقطبية العظمى ، ويدل على ذلك ما اخبرنى

به الشيخ خليل الكشكاوى ، قال : رايت الشيخ ابا الحسن البكرى رضى الله تعالى عنه وقد تطور فصار كعبة مكان الكعبة ، ولبس سترها كما يلبس الناس القميص .

وكان له النظم الشائع فى علم التوحيد ، واطلعنى مرة على تائية عملها نحو خمسة آلاف بيت اوائل دخوله فى طريق القوم ، ثم غسلها وقال : ان اهل زماننا لا يحتملون سماعها ، لقلة صدقهم فى طلب الطريق، واوصافه الحسنة تضيق عنها الدفاتر .

مات رضى الله عنه سنة نيف وخمسين وتسعمائة ، ودفن بجوار الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه ، وكانت جنازته مشهورة ، وكان يحبنى كثيرا . واخبرنى مرة بأنه يدعو لى فى سجوده ، ولما أشاع بعض الحسدة انه يكرهنى أرسل الى ورقة بخطة يحلف فيها بالطلاق الثلاث من زوجته انى عنده بمنزله ولده سيدى محمد ، وهى عندى بخطه الى الآن رحمه الله تعالى . آمين .

الشيخ شهاب الدين الفتوحى

ومنهم شيخ الاسلام العالم الصالح ذو الأخلاق الحسنة والأوصاف النفيسة بقية السلف الصالح ، الشيخ شهاب الدين الفتوحى الحنبلى ، رضى الله تعالى عنه .

كان من العلماء العاملين . ولاه السلطان الغورى القضاء كرها عليه، بعد أن قال للسلطان مرات : انا لا اصلح للقضاء ، وتولية مثلى لا تخلص ذمتك عند الله تعالى .

اقبل على العبادة آخر عمره ، وصار كأنه لم يشتغل بعلم قط ، مع [انه] انتهت إليه الرئاسة فى تحقيق نقول مذهبه ، وفى علم السند فى الحديث ، وفى علم الطب والمعقولات ، رضى الله تعالى عنه .

وجاءه مرة شخص يريد أن يقرأ عليه شيئا من المنطق ، فقال له : يا ولدى قد صار الفقه ثقيلا على قلبى ، فما بالك بعلم أفتى بعض

العلماء بتحريم الاشتغال به . فقال : يا مولانا ، ان العبـادة عبادة . فقال : صحيح ، ولكن ما وجدنا فيه رقة قلب بخـلاف الذكر والاستغفار ، مـع ان فضـل العلـم على غيره مشروط بحصـول الاخـلاص فيـه ، وما اظن .

وكان الشيخ رضى الله تعالى عنه فى أول عمره يفكر على طريق الصوفية ويقول : هل لله تعالى طريق أخرى تقرب اليه غير العلم الذى بأيدينا ، فلما جمعه الله على سيدى على الخواص اعترف لأهل الطريق بالفضل ، وقال : هؤلاء القوم قطعوا مقامنا وتعدوا الى ما وراءه ، وتأسف على عدم اجتماعه بالقوم ، رضى الله تعالى عنه .

ولمـا أرسلت اليه بكتاب الجواهر والدور الذى التقطته من مجالس سـيدى على الخواص كتب عليه أحسن كتابة ، وقال لى بصريح لفظه : والله اننى طـول عمرى أطالع فى كتب الشريعـة ، فلم يخطر ببـالى سـؤال منه ولا جـواب .

وأخبرنى أنه اشتكى الشيخ مرة للمحتسب حين كان الشيخ زياتا ، وضربه المحتسب وجرسـه ، ثم سار يبكى ويقول : مثلى يشتكى أولياء الله تعالى ؟ ولم يزل قبر سيدى على الخواص الى ان مات .

وقال لى مرة لمـا طالعت قول الشيخ على الخواص فى كتـابه الجواهر والدرر : كل علم اسـتفاده صاحبه من كـلام غيره فليس بعلمه هو . ومن أراد ان يعلم مرتبته فى العلم الذى يبعث عليه يوم القيـامة فليرد كل قول الى قائله ، وينظر بعـد ذلك ، فما بقى معه فهو علمه الذى يبعث عليه . انتهى .

ولم يزل رضى الله عنه مَن حين على سيدى على الخواص يتردد الى ويقول : لا يجازيك عنى الا الله تعالى ، فانى كنت تائها عن طريق أوليـاء الله تعالى . وصار له كشفٌ عظيم قبل موته ، وكاشفنى بما فى

سرى مرات ، فعرفت حينئذ قول الامام الشافعى رضى الله عنه : اذا لم يكن العلماء العاملون أولياء الله فليس لله ولى .

مات سنة نيف وعشرين وتسعمائة ، وهو آخر مشايخ الاسلام من أولاد العرب انقراضا ، فأسال الله أن يجمعنا عليه فى الآخرة ليأخذ بيدنا فى تلك الشدائد .

الشيخ سراج الدين العبادى

ومنهم الشيخ الامام العالم العلامة سراج الدين العبادى المقيم بالبرقوقية التى بالصحراء ، رضى الله تعالى عنه ، صحبته أربعين سنة فرأيته على قدم عظيم فى العبادة والزهد والورع والعلم ، من الخشية وضبط اللسان وسائر الجوارح من المخالفات ، حتى لا يكاد يتكلم الا نادرا لضرورة شرعية . وكانت تقول مذهب الشافعى نصب عينيه وشرح قواعد الزركشى شرحا عظيما فى مجلدين ، وأتى فيه بتحقيقات ونكت وقواعد .

أخذ رضى الله عنه العلم عن الشيخ سراج الدين العبادى الكبير ، وعن الشيخ شمس الدين الجوهرى ، وعن شيخ الاسلام يحيى المناوى وغيرهم ، وأجازوه بالافتاء والتدريس . وكان صاحب توجه عظيم كامل الى رسول الله ﷺ ، وكان مجاب الدعوة فيمن يؤذى أحدا من المسلمين .

ولما حج وزار قبر رسول الله ﷺ طلب من الخدام أن يفتحوا له باب مقصورته ﷺ فأبوا ، فلما كان الليل توجه الى النبى ﷺ وغالب الناس نيام ، ففتحت الأقفال بنفسها ودخل وزار ثم خرج وعادت الأقفال الى ما كانت عليه(١) .

توفى رضى الله تعالى عنه سنة نيف وأربعين وتسعمائة .

---

(١) لا حرج ولا تحجير على فضل الله ، فهذا وغيره من باب خرق العادة الجائز مع الصدق .

الشـيخ شـهاب الدين الصائغ

ومنهم الشـيخ الامام العالم الصالح الشيخ شـهاب الدين الصائغ الحنفى ، رضى الله تعالى عنه . كان حسن الخلق والشيم ، مهيب المنظر ، قليل الكلام ، كثير العبـادة فى الليل والنهار ، حلو اللسـان ، كثير التواضع ، قليل التردد للأكابر .

وكان عالمـا بالعلوم الشرعية والطبية ، فجمع طب الأبدان وطب الأديان ، ولم أر فى عصره من جمع بينهما سـوى الشيخ شـهاب الدين الفتوحى رضى الله عنه .

اخـذ العـلوم عن الشـيخ أمين الدين الأنصرائى ، وعن الشـيخ تقى الدين الشمنى ، وعن الكافيجى ا وعن شيخ الاسلام الأمشـاطى ، وأجازه بالفتوى والتدريس ، وحضرت درسـه فى تفسـير البيضاوى ، فأبدى من نكته العجائب .

وكان يصبر على جفاء السـائل ، ويوجه السؤال ، وكان يحب الخمول ويقول أحب شىء الى أن ينسـانى الناس فلا يأتونى ولا آتيهم ، لقلة نفع الاجتماع الآن ، وما زاحم قط على شىء من وظائف العلماء ، وعرضوا عليه عدة وظائف فلم يقبلها ، رضى الله تعـالى عنه الى ان مات سنة نيف وثلاثين وتسعمائة .

الشـيخ شمس الدين اللقانى

ومنهم الشيخ الامام العالم العلامة المجمع على جلالته الشيخ شمس الدين اللقانى المـالكى رضى الله عنه ، كانت له مكاشفات عظيمة غريبة ، وكان كريما سخيا حافظا لنقول المذهب كأنها كلها نصب عينيه .

وكان يواجه الأكابر والأصاغر بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، لا يخاف فى الله لومة لائم ، وكان لا يبيت على درهم ولا دينار .

وأخبرنى من أثق به من طلبته أن شخصا أعطاه سبعة عشر دينارا ، وهو فى الدرس ، فقال : الهدية لمن حضر ، ففرقها على الطلبة ، فأصاب

كل واحد دينارا ، وفضل دينارا ، فارسل الى السوق واشترى به موزا وحلوى وجمعهم عليه فاكلوا وانبسطوا ، وقال مباسطا لهم : السلطان اذا لم ينفق على عسكره خرجوا من طاعته ، وعصوا امره ، ولو ان أهل العلم فعلوا كما فعلت لعكف عليهم وحملوا عنهم العلم ، ونفعوا الناس وانفسهم وشيخهم ، رضى الله تعالى عنه ٠

وكان رضى الله تعالى عنه حزين القلب ، كثير البكاء والخشية لله تعالى ، وكان رضى الله تعالى عنه اذا سمع احدا يذكر شيئا من أحوال يوم القيامة يمكث الأيام لا ينتفع به احد من أمر الدنيا ٠

وقرا عليه مرة شخص شيئا من تذكرة القرطبى وأحوال الموتى ، فمرض خمسين يوما ، وكان رضى الله عنه كثيرا ما يغلب عليه التعظيم لله عز وجل ، فيذهل عن نفسه ، وربما خرج من الجامع الأزهر ، فلا يهتدى الى بيته فياخذ الأطفال بيده فيوصلوه الى بيته ٠

ومناقبه كثيرة مشهورة بين طلبته وغيرهم صحبته نحو ثلاثين سنة وانتفعت بلحظه ، فاسأل الله ان يحشرنا فى زمرته آمين ٠

الشيخ ناصر الدين اللقانى

ومنهم الشيخ الامام العلامة المجمع على جلالته الورع الزاهد الشيخ ناصر الدين اللقانى المالكى رضى الله تعالى عنه ، وهو أخوه ، انتهت اليه الرئاسة بعد أخيه الشيخ شمس الدين فى العلم والعمل والتحقيق والوقوف عند قوله ٠ جاءته الأسئلة من بلاد المغرب والتكرور واليمن والحجاز والشام والروم ، وتخرج به جماعة مذهبه الموجودون الآن ، فلا يوجد مالكى الا وهو من طلبته أو طلبة طلبته ٠

وكان رضى الله عنه من أعظم الناس اعتقادا فى طائفة القوم ، وما دخلت عليه قط وهو جالس على فروته الا قام واجلسنى عليها وجلس على الأرض ، واظن ان تلامذة طلبته لا تفعل ذلك مع مثلى ٠

ولما دس بعض الحسدة على كتابى العهود وغيره مسائل خارجة

عن ظاهر(١) الشريعــة اجاب عنى على تقدير صــحتها(٢) بأحسن جواب (٣) ٠

ثم انى اجتمعت به واخبرته ان تلك المسائل مدسوسة ، واطلعته على النسخة التى عليها خطه(٤) ، ففرح بذلك اشد الفرح ٠

وكان رضى الله تعالى عنه يقول : ما نصحتكم لأمر دنيوى ، وانمــا نصحتكم لتأخذوا بيدنا فى يوم القيامة ٠

ولمــا رد الشيخ محمد التونسى فتواه فى حادثة رايت تلك الليلة الشيخ ياقوت العرشى وهو يقول للشيخ محمد التونسى : مالك ولشيخ المذهب ترد عليه بغير علم ، وزجره اشد الزجر ، فشهد له بأنه شيخ المذهب ٠

وزرته مرة فوقفت على الباب وأنا ساكت لم ادق عليه الباب أدبا معه ، فخرج وهو مذعور وقال : قد سمعت قعقعة سقف القاعة وحيطانها ، حتى خفت من أنها تنطبق على ، ثم صار يحكى ذلك لجماعته ٠ ووالله انى لم اتوجه الى الله تعالى فيما وقع ، وانما ذلك امر من الله تعالى ابتــــداء ٠

مات رضى الله تعالى عنه سنة ثمان وخمسين وتسعمائة رحمة الله تعالى عليــه ٠

---

(١) من هنا يتأكد لنا ان ما هو مخالف لظاهر الشريعة فى الطبقات الكبرى وغيرها مدسوس على الامام الشعرانى رضى الله عنه ٠ وهذا اعتراف منه بذلك ٠

(٢) فى الأصول : بتقدير ٠

(٣) وعلى هــذا يحمل جواب شيخ الاسلام زكريا الأنصارى عن بعض المسائل الخارجة عن ظاهر الشريعة فى الطبقات الكبرى على فرض صحة صدورها عن شيخ الاسلام ٠

(٤) فى ا : خطه عليها ٠

الشيخ شهاب الدين الفيشى

ومنهم الشيخ الامام العلامة ،فتى المسلمين الشيخ شهاب الدين الفيشى المالكى رضى الله تعالى عنه ٠

صحبته سنة بعد أن عرضت عليه محفوظاتى وأجازنى ودعا لى بدعوات وجدت بركتهن ٠ وكان مذهب الامام مالك نصب عينيه ، وأكثر أيامه صائما ، وكان يتهجد كل ليلة بثلث القرآن ٠ وأوصانى بوصيته فانتقشت فى قلبى الى الآن ، فانتفعت بها ٠

قال لى : يا ولدى ، لا تعول على حفظ العلم من غير عمل ، كما عليه الناس اليوم تخسر دينك ٠ وكان مجلسه هيبة ووقار وأدب وعلم ، وكان دائم الطهارة لا يحدث الا ويتوضأ ٠ هكذا قال لى أصحابه رضى الله تعالى عنه ٠

الشيخ عبد الرحمن الأجهورى

ومنهم أخى المحب الصادق العالم العامل الزاهد ، مفتى المسلمين الشيخ عبد الرحمن الأجهورى المالكى رضى الله تعالى عنه ٠

أخذ العلوم عن الشيخ شمس الدين اللقانى ، وعن أخيه الشيخ ناصر الدين اللقانى وغيرهما ، وأجازوه بالفتوى والتدريس ، فدرس العلم وأفتى فى حياة أشياخه ٠

وكان الشيخ ناصر الدين اذا جاءته الفتوى يرسلها له من شدة اتقانه وحفظه للنقول رضى الله تعالى عنه ٠ وما زار أحدا من العلماء قدر ما زارنى ، كان رضى الله عنه لا يكاد يتخلف عن زيارتى كل يوم أربعاء ٠

وكان الشيخ يوسف الحريثى يقول : أحب من الدنيا ثلاثة : الشيخ عبد الرحمن الأجهورى ، والشيخ يوسف البشلاوى ، وعبد الوهاب الشعرانى ٠

وكان الشيخ عبد الرحمن كريم النفس قليل الكلام واللغو ، حافظا

لجوارحه عن المخالفات ، كثير التهجد فى الليل ، كثير التلاوة للقرآن ، زاهدا ورعا كثير الأدب مع اخوانه .

تفقه عليه خلائق لا يحصون ، وكتب على مختصر الشيخ خليل ، والف عدة كتب نافعة وصلت الى بلاد المغرب وبلاد التكرور ، صحبته اربعين سنة فما سمعته قط يذكر احدا بسوء من اقرانه ، على ما آتاه الله تعالى من علم أو مال أو جاه أو اقبال من الناس ، بل يقول : لولا انه يستحق ما اعطاه الله تعالى ذلك .

ولما مرض دخلت عليه فوجدته لا يقدر أن يبلع الماء من غصة الموت ، فدخل عليه شخص بسؤال فقال : اجلسونى ، فأجلسناه واسندناه فكتب ، فلم يقف له ذهن مع شدة المرض رضى الله عنه وقال : لعل ذلك آخر سؤال اكتب عليه ، فمات تلك الليلة رضى الله تعالى عنه .

حضرت معه أنا والشيخ ابو العباس الحريثى قراءة المواهب(١) مع مؤلفها الشيخ شهاب الدين القسطلانى شارح البخارى ، وجمع عليه الأربعة عشرة قراءة .

مات رضى الله عنه سنة نيف وعشرين وتسعمائة ودفن تجاه مقام اخوه يوسف عليه الصلاة والسلام بجامع محمود بالقرافة ، وقبره ظاهر ، وكان كلما مر على قبر يقول : انا احب هذه البقعة ، رضى الله تعالى عنه .

الشيخ شمش الدين العبادى

ومنهم الشيخ العلامة المحقق الورع الزاهد الشيخ شمس الدين العبادى الشافعى رضى الله تعالى عنه .

صحبته عشر سنين ، فما رأيت أكثر صمتا منه . ثم مرض فأكل حامضا

---

(١) هو كتاب المواهب اللدنية فى الشمائل المحمدية ، وقد شرحه الزرقانى شرحا مبسوطا فى سبعة مجلدات .

فثقل لسانه . أفتى ودرس فى الجامع الأزهر ، وانتفع به خلائق ، ولم يزل فى ازدياد ، الى أن مات رضى الله تعالى عنه آمين .

الشيخ شهاب الدين البلقينى

ومنهم الشيخ الصالح المجمع على حالته الشيخ شهاب الدين البلقينى رضى الله تعالى عنه . كان رضى الله عنه غريبا فى أقرانه ، لكثرة زهده وورعه ، وحسن خلقه ، وحلاوة لسانه ، وضبطه .

أخذ العلم عن عدة من العلماء الأعلام ، ومن أجلهم العلامة الشيخ شهاب الدين الرملى الأنصارى رضى الله تعالى عنه ، ولازمه ملازمة شديدة حتى أجازه بالافتاء والتدريس ، فدرس وافتى فى حياته ، وانتفع به خلائق ، حتى كانت حلقته أوسع من حلقة شيخ .

وأخذ طريق القوم عن سيدى على المرصفى ، ثم عن تلميذه الشيخ نور الدين الشونى ، شيخ مجلس الصلاة على النبى ﷺ فى جامع الأزهر(١) ، وأحبه غاية المحبة ، واستخلفه فى مجلسه فى حياته وبعد مماته ، وقدمه على جميع أصحابه وقال : ما قدمته فى المجلس الا بعد مشاورة النبى ﷺ ، واعتقد علمه وصلاحه ، الخاص والعام ، واشتهر فى مصر وقراها ، والشام ، والحجاز ، والروم .

وصحبته رحمه الله تعالى نحو اربعين سنة ، فما رأيت عليه شيئا يشينه فى دينه ، وما ذكره أحد بسوء الا ورآه تلك الليلة وعليه ثياب خضر وبيض نقية الخضرة والبياض ، فأعرف بذلك كذب الحاسد وصدق الشيخ شهاب الدين وشدة اخلاصه .

وما رأيته قط التفت الى وظائف الفقهاء ، بل تربى على العفة والورع والزهد فى الدنيا حتى أتته وهى راغمة .

---

(١) وكان طريقه هو الصلاة على النبى ﷺ ، لا يلقن غيرها ، ويوصى بالدوام عليها فى كل وقت حتى تصبح ملكة لا تفارق القلب .

ووقع لى مرة معارضة(١) من أصحاب النوبة من العجم فما كنت الا هلكت ، فأتانى زائرا هو والشيخ نور الدين الشونى ، والشيخ أبو العباس الحريثى ، والشيخ شهاب الدين الوفائى رضى الله عنهم وجماعة . فلما أرادوا الانصراف قال لهم الشيخ شهاب الدين البلقينى : كيف تذهبون وأنتم مشايخ مصر ، والرجل بمرضه ، ما حملتم عنه شيئا . فصار كل واحد يقول لصاحبه : احمل أنت عنه ، فيرد الأمر عليه ، فقال الشيخ شهاب الدين البلقينى : مدونى وأنا أحمل عنه . ثم وضع رأسه فى طوقه مقدار درجة ، فقمت فسبقتهم الى خارج الدار ، وكان لى تسعة أيام لا آكل ولا أشرب ولا أنام .

ورأيت مرة فى المنام أن الشيخ نور الدين الشونى جالس فى مجلسه بالجامع الأزهر ، والمقصورة مفروشة بالحرير الأخضر ، والعمد كلها مستورة بالحرير ، ونظرت الشيخ نور الدين سحابة خضراء الى السقف ، فبينما هو كذلك اذ نزل الى الأرض وابتعلته ، فجاء الشيخ شهاب الدين البلقينى فجلس مكانه ، ثم ابتعلته الأرض كذلك ، ثم جاءونى فأجلسونى واستيقظت ، فقصصت ذلك على الشيخين ، فقالا : ان صدقت رؤياك فأنت تقبرنا وتعيش بعدنا . فكان الأمر كما قالا رضى الله عنهما .

وكان للشيخ شهاب الدين وقائع غريبة مع الجن ، وكانوا يحدثونه ويوضئونه وكان اذا رأى أحدا مركوبا يقول للراكب : اخرج ، فيخرج من غير عزيمة عليه ، وكذلك بلغنا أنه كان يجتمع بالنبى ﷺ يقظة ويحادثه ، أى يجتمع به فى حالة بين النائم واليقظان ، كما هو مقرر فى تأويل كلام القوم .

مات رضى الله عنه فى ثانى صفر سنة ستين وتسعمائة ، ودفن بالقرب من تربة الجامع الأزهر ، رحمة الله تعالى عليه .

---

(١) معركة باطنية تحدث بين الأولياء تحدث منها أمراض وغير ذلك.

الشيخ زكريا بن الشيخ زكريا الأنصارى

ومنهم الشـيخ زكريا ولد شيخنا شيخ الاسـلام زكريا الأنصارى ، رضى الله تعالى عنهما .

أخذ العلم عن أبيه المذكور ، وعن الشيخ برهان الدين بن ابى شريف، وعن الشيخ عبد الحق السنباطى ، وعن الشيخ كمال الدين الطويل .

وكان أبوه يحبه محبة عظيمة ، وأخذ التصوف وطريق القوم ، ولبس الخرفة عن ابيه المذكور ، وعن سيدى على المرصفى ، وعن غيره . وكان ذكيا ، حلو اللسان ، جميل المعاشرة ، كريم النفس ، كثير التهجد فى الليل ، كثير الصدقة والافتقاد لفقراء الركب ، وكان كثير البكاء عند سماع شىء من أهوال يوم القيامة .

مات رضى الله عنه فى شوال سنة تسع وخمسين وتسعمائة ، ودفن خارج باب النصر ، تجاه السيدة زبيدة ، رحمه الله تعالى .

فصـــــل

فى مناقب جماعة من علماء العصر الأحياء

ولنذكرهم على ترتيب سبق ائمتهم بالزمان . فتبدأ بأصحاب الامام الأعظم ابى حنيفة النعمان ، ثم بأصحاب الامام الشـافعى محمد بن ادريس ، ثم بأصحاب الامام مالك بن انس ، ثم بأصحاب الامام احمد بن حنبل ، رضى الله تعالى عنهم اجمعين ، غير ملتزمين تقديم الأفضل من كل مذهب ، لجهلنا بحقيقة مقامهم الذى يموتون عليه ، فان التحول والتبديل ربما وقع لأحدهم ، فيقع وصفنا له على خلاف الواقع ، فيكذبنا الحس .

وكذلك قل من يذكر مناقب أحد من الأحياء فى حياته ، وانما يذكرونها بعد مماتهم ، ولكن لـمـا قوى رجائى فى الله عز وجل ، وانه لا يسلب احدا منهم ما وهبه له من العلوم والمعرفة والأخلاق الحسنة أجرانى ذلك على ذكر مناقب من صحبته من الأحياء ، ولم أذكر منهم الا من أفتى ودرس فى مذهبه باذن اشياخه ، لأن ذلك غاية ما يصل اليه طالب العلم .

وكذلك لا أذكر منهم الا من علمت بقرائن الأحوال انه لا يحب الشهرة واستحقر نفسه ان يذكره احد فى طبقات العلماء العاملين ، لعلمى أن من أحب الشهرة ، فهذا مرائى ، وعيوبه مكشوفة للناس ، فلا فائدة فى الناس فيما أصفه به وقد كان الامام مالك رضى الله عنه يقول : لو أحب العلماء أن يعرفوا لـمـا عرفوا .

وقد كنت ذكرت بعض جماعة فى هذه الطبقات ، فقال لهم بعض الحسدة : ان فلانا ذكر اقرانكم ولم يذكركم ، فجاءونى فعتبوا على لكونى لم اذكرهم بناء على صدق ذلك الحاسد ، فرفعتهم من الكتاب ، لعلمى أن من أحب الشـهرة لابد ان ينطفىء اسـمه ، ولو على طول الزمن ، فلا يفيده ذكرى له .

وقد أجمع القوم على ان علامة العالم العامل أن يرى نفسه أحقر

عباد الله تعالى على الاطلاق(١) كما كان عليه سيدى عبد العزيز الدرينى ، وسيدى عبد الله المنوفى ، فكان أحدهما اذا جاء الى وليمة ولم يقم اليه أحد ولم يفسح له يزداد سرورا ، واذا قدموا لأصحاب الصحون التى اكلها الناس يلحسونها ويزدادون سرورا ويقولون : أكلنا فضلة هؤلاء الناس الملاح ، وحصل لنا بركتهم ٠

وانا ارجو من فضل الله أن يكون جميع من ذكرتهم على هذا القدم ، وجل قصدى من ذكر صحبتهم من هؤلاء العلماء فتح باب الاعتقاد فيهم من أهل عصرهم ، فيأخذوا عنهم العلم والأدب ، وينتفعوا بعلمهم ، فانهم قالوا : الحاضرة حجاب(٢) ٠

فترى بعض الناس لا يقيم لأحد من أهل عصره وزنا ، ولا يعتمد على فتواه الا اذا مات ذلك المفتى ، وتخلف ذلك المعاصر بعده ، فيصير بعده من العلماء ، ويسمى ما يراه فى مؤلفه منقولا ، ويحتج به ٠

وعن قريب تخلو الديار المصرية من هؤلاء العلماء ، ويفقد الناس انوار علومهم ٠ فالعاقل من تادب مع علماء زمانه واقرانه ، وأخذ منهم ما معهم من العلم والسلام ٠ اذا علمت ذلك فأقول وبالله التوفيق ٠

الشيخ شمس الدين البرهمتوشى(٣)

فمن صحبته من علماء الحنفية الشيخ الامام العلامة المقبل على عبادة ربه ليلا ونهارا ، المعتزل عن الناس فى بيته عملا بالسنة المحمدية ، الشيخ شمس الدين البرهمتوشى ، فسح الله فى أجله للمسلمين ٠ لى فى صحبته الآن مدة عشر سنين ، فما أظن كاتب الشمال كتب عليه شيئا ٠

---

(١) المراد اتهام النفس فى كل افعالها بالتقصير وعدم الكمال ، لأن الرضا عن النفس بداية الانحراف ٠

(٢) يعنى : الشىء الحاضر يحجب الانسان عن ادراك سره ٠

(٣) نسبة الى برهمتوش ، من أعمال سمنود بمحافظة الغربية بمصر ٠

وان وقع له أن عرض لأحد على وجه التنفير ، فذلك من باب النصح للأمة ، لا لحظ نفسه • وقد كان الامام البخارى رضى الله عنه يجرح الرواة كثيرا ويقول : أرجو ان الله عز وجل الا يطالبنى فى يوم القيامة بغيبة فى أحد • وذلك لأنه يريد بالتجريح نصرة الدين لا التشفى بذلك للنفس •

وبالجملة فالشيخ شمس الدين هذا فريد عصره ، ونادرة زمانه فى العلم والعمل والاخلاص ، وعدم الوقوع فيما يذل نفسه لأبناء الدنيا ، حتى أن بعض الولاة ولاه وظيفة تدريس جليلة عند الناس ، فتوقف على أن يذهب الى الأمير ويشكر فضله ، فلم يفعل وتركها •

ومما وقع لى انه كشف لى ذات ليلة فرايت أعمال علماء الجامع الأزهر وهى صاعدة ، فما رايت اعمالهم أضوأ ولا أنور من عمله • فعلمت بذلك علو مقامه فى الاخلاص وكيف لا يكون عمل من اعتزل عن الناس أضوأ وأنور وذات المعتزل قد تنظفت عن سائر الأدناس والانجاس تبعا للقلب ، فانه اذا استنارت اضاءت الذات واضاءت الأعمال(١) •

وقد مررت مرة على قناطر السباع التى عملت من الحجارة(٢) ، فنظرت الى سبع منها قريب من الناس عليه النخامات والبصاق حتى اسود وقبحت رائحته • فقال شيخ قد طعن فى السن : انظر يا ولدى واعتبر وتأمل فى ذلك السبع لما قرب من الناس كيف تغيرت احواله ، وتأمل فى ذلك السبع الذى فوق الحائط الذى لا يصل اليه أحد كيف هو أبيض يلمع فى الشمس مثل الشيخ شمس الدين لما بعد عن الناس •

فأخذت لنفسى عبرة من ذلك ، فمثل الشيخ شمس الدين هـذا ،

---

(١) يشير الى وصية النبى ﷺ بلزوم المؤمن بيته فى عصور الفتن • وهـذه الاشارة وغيرها فى مؤلفات الشعرانى تؤكد انه كان صاحب مذهب اصلاحى خطير •

(٢) كانت على خليج أمير المؤمنين بالقرب من المشهد الزينبى •

وله المثل الأعلى من السبع ، مثال ذلك السبع الذى لا يصل اليه أحد نسأل الله تعالى أن يزيده من فضله . آمين .

أخذ العلم عن جماعة ، منهم شيخ الاسلام الشيخ نور الدين الطرابلسى، والشيخ العلامة المحقق العالم العامل المجمع على جلالته الشيخ محمد نعوش المغربى المالكى حين قدم الى مصر من الروم ، وقرأ عليه أجلاء علماء مصر ، وانتفعوا به ، ولم يزل رضى الله عنه يقرأ على العلماء والأشياخ حتى تبحر فى علوم الشريعة من تفسير وحديث وفقه وأصول ومعان وبيان وغير ذلك . وأجازه أشياخه بالافتاء والتدريس ، فدرس العلم وأفتى مرة ، ثم امتنع عن الفتيا تورعا منه رضى الله عنه .

وانتفع به خلائق لا يحصون من أهل مصر والحجاز والعجم والروم ، وأقبل عليه الطلبة اقبالا عظيما ، وقدموه على اقرانه لما هو عليه من العلم والعمل والزهد والورع وقلة التردد الى الأكابر مثل غيره ، وعدم مزاحمته على شىء من وظائف الفقهاء اقتداء فى ذلك بالسلف الصالح رضى الله تعالى عنه . فأسأل الله تعالى أن ينفعنا بعلومه ، ويرزقنا الأدب معه الى الممات ، وأن يحشرنا فى زمرته فى الآخرة تحت لوائه . آمين آمين آمين .

مات رضى الله عنه فى ثالث جمادى الأولى سنة اثنين وسبعين وتسعمائه ، ودفن بمقبرة المجاورين ، بجوار تربة السلطان قايتباى رحمه الله تعالى آمين .

الشيخ سراج الدين الحانوتى

ومنهم الشيخ المجمع على جلالته وعلمه وورعه وحفظ جوارحه الشيخ سراج الدين الحانوتى رضى الله تعالى عنه . ما رأيت فى أقرانه اكثر اعتقادا منه فى طائفة الفقراء ، لا يكاد يغفل عن زيارتهم أحياء وأمواتا ، وقد استحييت من كثرة زيارته لى ماشيا تبعا لشيخه الشيخ شهاب الدين ابن الحلبى رحمه الله تعالى .

صحبته نحو عشر سنين الى وقتنا هذا ، فما أظن أن كاتب الشمال وجد شـيئا يكتبه عليه من شدة تقواه وضبطه لجوارحه ، وما سمعته يذكر أحدا من المسلمين وغيرهم بغيبة ، حتى أنه دخل عليه طبيبان من اليهود فى مرضه لقلت ان احدهما أعرف بالطب من الآخر .

وما رايته قط يزاحم على شىء من الدنيا ، ولا يتردد الى أحد من الولاة الا لضرورة شرعية ، من شفاعة فى مظلوم ونحو ذلك .

وكان مجلسه مجلس علم وأدب وخشية وخوف من الله عز وجل ، فقد طبعه الله على الأخلاق المحمدية ، والشيم المرضية ، والأحوال السنية ، لا يكاد يطلع عليها الا الله عز وجل ، من تهجد وقراءة أوراد ومراقبة .

لم يزل من حين صحبته على قدم التواضع وهضم النفس . وجلس عندى مرة بحضرة شخص من الأولياء فقال لى : نظرة هذا الرجل نظرة ارباب الأحـوال(١) فعرفت مقامه من نفس نظرته دون شىء من أعماله الزكية لكثرة اخفائها عن الناس ، ولو أنى أعرف منه محبة عدم الشهرة لأوسعت الكلام ببعض محاسنه فأسأل الله تعالى أن يزيده من فضـله ، وان ينفعنا ببركاته ، ويجعـل فى ذريته وطلبته العلم والبركة آمين ، ويحشرنا فى زمرته آمين .

مات رضى الله عنه سنة سبعين وتسعمائة . وكان مولده عام تسع وتسعين وثمانمائة .

الشـيخ بشر

ومنهم العلامة الصالح العالم العامل الشيخ بشر رضى الله عنه . أخذ العلم عن جماعة منهم الشيخ نور الدين الطرابلسى ، وشيخ الاسلام الشيخ

---

(١) الأحوال من نتائج العلم أو من نتائج العمل على خلاف بين القوم ، وهى تلون القلب بين الهيبة والأنس ، أو الفيض والبسط ، أو الجلال والجمال ، وتعاقب هذه الأحوال وغيرها عليه .

عبد البر بن الشحنة ، وغيرهم من العلماء ، واجازوه بالفتوى والتدريس ، وافتى فى جامع الأزهر وغيره ، وانتفع به خلائق ، وقد غلب عليه الآن محبة الخفاء والخمول والجلوس وحده ، وترك التردد للناس حتى صار كأنه لم يعرف احدا ٠ فقيل له فى ذلك ٠ فقال : قد ضاع عمرى من الاشتغال بأمور الناس ومخالطتهم ٠

وصحبته نحو خمس سنين فما رايت عليه شيئا يشينه فى دينه ، وما رايته قط يغتاب أحدا من اقرانه ولا غيرهم ٠ وهو من اجل أصحاب الشيخ نور الدين الطرابلسى ٠ وجلس مدة يقضى بين الناس نيابة عن شيخ الاسلام ، ثم ترك القضاء ، واقبل على العبادة من صوم وقيام ليل ومراقبة(١) وصمت ٠ وما اتانى قط الا وجدته صائما ٠ واخبرنى من يخالطه انه يفطر على كسرة يابسة فى أكثر أيامه ويكتفى بها ٠ رضى الله تعالى عنه ٠ آمين ٠

الشيخ بدر الدين الشهاوى

ومنهم الشيخ الأخ الصالح العالم العلامة الورع الزاهد الشيخ بدر الدين الشهاوى رضى الله تعالى عنه ٠ صحبته نحو ثلاثين سنة فما زاغ عن الشريعة فى شىء من افعاله واقواله وعقائده ٠ اخذ العلم عن جماعة من مشايخ الاسلام ، كالشيخ نور الدين الطرابلسى شيخ الاسلام ، والشيخ شهاب الدين الحلبى ٠ فلم يزل يقرأ عليه حتى تبحر فى علوم الشريعة والافتاء ، فأحبه حبا شديدا وزوجه ابنته ، وأجازه فى الافتاء والتدريس ، فدرس وافتى فى حياة أشياخه باذنهم ٠

واخذ طريق التصوف عن سيدى ابى السعود الجارحى رضى الله تعالى عنه فكمل بذلك حاله ، لأن الفقيه اذا لم يكن له علم بطريق القوم فهو ناقص فى المقام ، اذ بمعرفة طريق القوم يعرف العبد دقائق الرياء

---

(١) المراقبة : دوام نظر القلب الى هيبة الله تعالى فى كل حال ٠

والنفاق فى أحواله فيستغفر منها ويتوب ، ومن لا يعرف طريق القوم ربما يموت على عدة من الكبائر الباطنة من حسد وغل وحقد وعجب وكبر ورياء ونفاق ومحبة للدنيا ، ولا يهتدى للتوبة ، فاعلم ذلك .

ومن صفاته رضى الله تعالى عنه كثرة ذكر الله عز وجل بلسانه وقلبه . ما جالسته قط ورأيته غافلا وشهود أنه يراه ، وهذه أكبر حالة تحصل للفقراء بعد طول مجاهدتهم .

ومن صفاته النصح لاخوانه ، وعدم المداهنة لهم ، مع ما هو عليه من كثرة الصيام ، وقيام الليل ، والصدقات الخفية ، وله القدم العظيم فى كتم أحواله وافعاله عند الناس حتى عن عياله ، وله صبر عظيم عن العزلة والجلوس فى بيته فلا يخرج الا لضرورة شرعية من صلاة جماعة وتدريس ونحو ذلك .

وأوصافه الحسنة تجل عن تصنيفى . فأسأل الله تعالى أن يزيده من فضله ، وأن يحشرنا فى زمرته . آمين . آمين . آمين .

الشيخ أمين الدين بن عبد العال

ومنهم الشيخ الامام العالم العلامة الورع الزاهد فى الدنيا والآخرة الشيخ أمين الدين بن عبد العال رضى الله تعالى عنه . صحبته نحو أربعين سنة فما رأيته زاغ عن السنة المحمدية ، ولا اعتنى بشىء من الملابس ، ولا توقف فى ركوب الحمار على بساط ، وأكثر خروجه للسوق بلا رداء ، بل ثيابه فى بيته هى التى يخرج بها الى درسه ، طارحا للتكلف جملة فى جميع أحواله ، لا يكاد أحد يميزه من العامة .

ودخلت عليه مرة وهو جالس فى الدرس أيام الشتاء فى حوش السلطان « جانبلاط » فسطع لى منه أنس عظيم حتى امتلأت جوارحى منه أنسا ، ورأيت باطنه ممسوحا من الأراض النفسانية كباطن الطفل ، وما وقع لى ذلك قط مع أحد من أقرانه .

وكان والده الشيخ عبد العال رجلا صالحا كريما عفيفا لا يمكن أحدا

ان يفارقه حتى يقدم له شيئا يأكله ، ودخلت عليه مرة فلم يجد عنده طعاما فقدم لى الماء وقال : اشرب ولو يسيرا · وربما وجد اللقمة اليابسة فيضعها بين يدى الأمير ونحوه ، رضى الله تعالى عنه وعن ولده الشيخ امين على تقوى وعلم وادب ·

أخذ العلم عن جماعة ، منهم الشيخ نور الدين الطرابلسى ، واجازه أشياخه بالافتاء والتدريس فى حياتهم باذنهم له فى ذلك ، ووقف الناس عند قوله ، وأجمعوا على كثرة ورعه وزهده وحفظ جوارحه من المخالفات ، وكان أكثر أوقاته جالسا وحده لمحبته للعزلة اقتداء بالسلف الصالح ·

وما جالسته قط الا ورايته مشغولا بالله عز وجل وبأهوال يوم القيامة ، وله القدم الراسخة فى كلام القوم ، لا سيما كلام الشيخ محيى الدين بن عربى رضى الله تعالى عنه · وكانت اكثر اعماله قلبية · وسمعته يقول : كل عمل ظهر من أمثالنا دخله الدخيل ·

وعرضوا عليه مرة عدة وظائف من تدريس وغيره فأبى · وبالجملة فاوصافه الحسنة كثيرة ، فأسأل الله عز وجل أن يزيده من فضله ، وان ينفعنا ببركاته آمين ، اللهم آمين ·

مات يوم الأحد المبارك ثانى عشر من رجب سنة احدى وسبعين وتسعمائة ، ودفن فى باب النصر ، تجاه المدرسة الجانبلاطية ·

الشيخ شرف الدين البلقينى

ومنهم الشيخ الامام المجمع على جلالته وعلمه وصلاحه وزهده وورعه الشيخ شرف الدين البلقينى شيخ تربة « خاير بك » ملك الأمراء ، رضى الله تعالى عنه ·

صحبته نحو أربعين سنة فما رأيته حاد عن طريق الشريعة ، ورؤية وجهه تشهد لى بذلك ، لما عليه من الأنس والهيبة والخشوع · أخذ العلم عن جماعة ، منهم شيخ الاسلام نور الدين الطرابلسى ، والشيخ برهان الدين ابن أبى شريف وغيرهما ، وأجازوه بالافتاء والتدريس ، وانتفع به خلائق ·

وأخذ طريق القوم عن جماعة ، منهم : سيدى محمد المغربى الشاذلى . وله أحوال عظيمة وتهجد طويل ، بالليل ويحب اخفاء الأعمال ، فلا يكاد يطلع على عمله أحد ، وما رايته قط الا وحصل لى فى باطنى انشراح صدر ، وانفساح ، وزيادة حياء ، وهذه من اكبر علامات الصالحين .

وما رأيت فى اقرانه اكثر سعة منه ، ولا اكثر تواضعا ولا هضما للنفس ، وما تغير على احد فأفلح بعد على يد غيره وذلك لما هو عليه من الضبط والمناقشة لطلبته ، ومن فر من مناقشة شيخه له فهو لا شك يفر من كل شىء وناقشه بعد ذلك(١) . ولولا انى أعلم منه محبته للخمول وعدم الشهرة لذكرت من محاسنه ما تقر به العيون .

فأسال الله تعالى من فضله ان يزيده علما وعملا وجمعية قلب على الله تعالى حتى يلقاه . آمين .

مات رحمه الله تعالى . . . . . . (٢)

الشيخ زين العابدين بن نجيم

ومنهم الأخ الصالح والعلامة المحقق المدقق العابد الزاهد الشيخ زين العابدين ابن نجيم ، رضى الله عنه .

صحبته نحو عشر سنين الى الآن ، فما رأيت عليه شيئا يشينه فى دينه ، وحججت معه فى سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة فرايته على قدم عظيم مع جيرانه وغلمانه فى ذهابنا وايابنا ، مع ان السفر يسفر عن اخلاق الجال ، وتخرج فيه الأخلاق عن الحد(٣) .

اخذ العلم عن جماعة منهم الشيخ شرف الدين البلقينى ، والشيخ

---

(١) وذلك لأن الشيخ حافظ لأسرار طلبته ، فاذا فر الطالب ممن يحفظ أسراره فبالأخرى يفر من غيره ممن لا يحفظون السر .

(٢) بياض فى الأصول .

(٣) أى بطر فيها الحسن او القبيح .

شـهاب الدين بن الحلبى ، والشيخ أمين الدين بن عبد العال ، وأبى الفيض السلمى وغيرهم • واجازه أشياخه بالافتـاء والتدريس فأفتى ودرس فى حياة أشـياخه باذنهم ، وانتفع به خلائق لا يحصون ، وله عدة مؤلفات حرر فيها نقول مذهبه لا يستغنى عنها مفت ولا مدرس •

واجمع الفقهاء على ادبه وجلالته ، وما تخلف عن الاذعان له الا كل من عنده حسـد أو جهل بمقامه •

وما رأيت فى اقرانه اكثر فوائد ولا احسن منه وله الاعتقاد العظيم فى طائفة القوم • وقد شـاورنى فى ترك الافتـاء والتدريس من الاقبـال على طريق القوم • فقلت له : لا تدخل فى طريق القوم الا بعد تضلعك فى علوم الشريعة ، وحتى تصير تقطع جميع علماء مصر بالحجج القاهرة فى مجلس المناظرة ، فأجابنى الى ذلك ، وقـد بلغ بحمد الله ذلك •

واخـذ الطريق عن الشـيخ العارف بالله تعالى الشـيخ سليمان الخضيرى ، وصار له ذوق عظيم فى الطريق يحل به مشكلات القوم ويوجهها على أحسن حال ، فأسأل الله تعـالى أن يزيده من فضله علما وصلاحـا ويحشرنا فى زمرته آمين •

الشـيخ شمس الدين القلقشندى

ومنهم الأخ الصالح العالم الورع الزاهد الشيخ شمس الدين القلقشندى، المسـيرى الأصل ، المقيم بالمدرسـة الأشرفيـة بخط الوراقين رضى الله تعـالى عنـه •

صحبته نحو عشر سنين فما رأيت عليه شـيئا يشينه فى دينه ، بل نشـأ على علم وخير وادب وعمل ، وحججت معه فى سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة ، فما رأيت فى اقرانه اكثر مروءة ولا عبادة منه ، هو والشيخ شمس الدين الشربينى الخطيب ، فانى رأيتهما يمشيان عن جمالهما غالب المراحل وهما مشغولان بتلاوة القرآن وافادة الناس وتعليمهم المناسك ، ورأيته كثيرا يعطى نعله للفقراء الحفاة ويمشى هو حافيـا ، وكذلك رأيته

يطوى عن الطعام والشراب فى غالب ايامه ويعطى عشاءه وغذاءه الى الفقراء ، وظهر لى منه فى تلك السنة علو همته ، وكثرة اخفائه اعماله التى لا يقدر احد على المداومة عليها قط ٠

اخـذ العلم عن جماعة منهم الشيخ نور الدين الطرابلسى ، والشيخ شـهاب الدين بن الحلبى ، واجازه مشايخه بالافتـاء والتدريس ، فافتى ودرس فى حياة اشياخه ، وانتفع به خلائق ، ولا اعلم احدا يحفظ نقول المذهب مثله ، واقبل على العلم والعمل والعبادة ، وتولى القضاء مدة ثم عزل نفسه ، ومات رضى الله عنه ٠

الشـيخ صـدر الدين

ومنهم الشيخ الامام العالم العلامة المفتى الأخ الصالح الورع الزاهد صـدر الدين الامام بجامع القلعة ، رضى الله تعالى عنه ٠ صحبته عدة سنين فما رايت عليه شـيئا يشينه فى دينه ، ولم يزل مقبلا على عبادة ربه والعلم والعمل والعبادة ، وله تهجد عظيم فى الليل ، وحفظ للجوارح ، ومجلسه مجلس علم وادب وحيـاء ، وما رأيت فى اقرانه أحسن خلقـا منه ، ولا اكرم نفسـا ٠ فأسال الله تعالى أن يزيده من فضله علما وعملا وزهدا وورعا ويحشرنا فى زمرته آمين آمين آمين ٠

الشيخ محب الدين البكـرى

ومنهم الشيخ الامام العلامة الصالح الشيخ الذى لا يخاف فى الله لومة لائم الشيخ محب الدين البكرى رضى الله تعالى عنه ٠

هو من بيت علم وصـلاح ، وتولى ولده الشيخ رضى الدين قاضى ديوان الشريف ٠ صحبته نحو اربعين سنة فما رايته حاد عن طريق الحق، ولا هاب احدا من الولاة والاكابر ، بل يصدعهم بالحق ، وهـذا الأمر قد انفرد به فى مصر الآن ولم يشاركه فيه احـد مع ما هو عليه من الورع والزهد وعدم قبول الهدية ممن لا يتورع فى كسبه ٠ وما ثارت فى مصر فتنة الا وكان خمودهـا على يديه ، ولم يزل يصلح بين العلماء والأكابر

اذا وقع بينهم تنافر وتدابر ، وكلامه مقبول عند سائر الناس ، وذلك دليل على صدقه واخلاصه .

ولما وقعت الفتنة فى مسألة استبدال الأوقاف ايام قاضى العسكر محمد الياس وعارضهم الشيخ نور الدين الطرابلسى ، كاتبوا فيه السلطان فأرسل مرسوما يشنق الشيخ نور الدين . ورأيت وانا بين النائم واليقظان لوحا نزل من السماء معلقا بسلسلة من فضة تجاه الشيخ محب الدين ، مكتوبا بخط اخضر ، يقرؤه جميع من يمر عليه ، فأرسلت واعلمت الشيخ بذلك ، فلما جاء المرسوم كانت نجاته على الشيخ محب الدين .

وبالجملة فما رأيت فى عصر الشيخ محب الدين أكثر اهتماما بأمور المسلمين ولا اكثر خوفا من الله عز وجل ، ولا انصر للحق منه ، يكلم أعظم الأمراء كما يكلم آحاد الناس .

بلغنا انه لما صحب الشيخ الكامل سيدى محمد المغربى الشاذلى شيخ جلال الدين السيوطى فى التصوف قال له : يا محب الدين تكلم وأمر بالمعروف وانه عن المنكر ، ولا تخف من احد . فلذلك لم يكن فى مصر أحد من العلماء يواجه الباشات والأمراء والدفاتر بالكلام الجافى المر الا هو . وكذلك لما صحب الشيخ على المرصفى والشيخ تاج الدين الذاكر والشيخ ابا السعود الجارحى وغيرهم . وكانوا كلهم يجلونه ويعظمونه ويصفونه بالصلاح والعلم والورع والدين .

وله تجهد بالليل واوراد عظيمة وصيام كثير ، وعلى وجهه الخفر والوقار ، وأوصافه الحسنة تجل عن تصنيفى ، فأسأل الله أن يزيده من فضله ، وان يحشرنا فى زمرته آمين . آمين . آمين .

قلت : وبقى جماعة كثيرة من الحنفية ذكرناهم فى كتاب المفاخر والمآثر فى بيان علماء القرن العاشر ، كالشيخ عمر بن عبد الجيد ، وسيدى سرى الدين بن الصائغ ، وسيدى يحيى الرهاوى ، وسيدى محمد بن الحلبى ،

وسيدى يحيى الوفائى فمن ارد الاطلاع على حالهم فلينظر الكتـاب المذكور ، والله تعـالى أعلم ٠

واما أصحابنا من علماء الامام مالك رضى الله عنه ٠

فمنهم الشيخ اللامام العالم العامل الزاهد الورع المجمع على جلالته

الشـيخ عبد الرحمن الفاجـودى

المقرىء المقيم بالمدرسة العينية ، رضى الله تعالى عنه صحبته صحبة قلبية نحـو عشر سنين الى الآن فما رايته زاغ عن الطرق الشرعية فى شىء من أحواله ، وهـذا أعظم كرامة تكون للأوليـاء ٠

اخـذ رضى الله تعـالى عنه العلوم الشرعية عن الشيخ شمس الدين اللقانى ، وعن أخيه الشيخ ناصر الدين اللقانى وغيرهما ، واجاوزه بالفتوى والتدريس ، فدرس ولم يفت تورعا ، وله حال عظيم مع الله تعـالى فى سرهِ وصيامه وقيامه ، يتعاطى حوائجه بنفســه من السوق ويحملها ولا يمكن احد يحملها معه على طريق السلف الصالح ٠

وله ضبط عظيم لجوارحه حتى لا يكاد صاحب الشمال يجد شيئا يكتبه عليه ، وله شعرة تضرب الى شحمة أذنه اتباعا للسنة المحمدية ٠

قلت : ورأيت رســول الله ﷺ فأمرنى بمطالعة كـلام الامام مالك لأجله ، وذلك لأن شــخصا ورد عليه زائرا فقال : اقرأوا لنا الفاتحة لمـا اراد الانصراف ٠ فقال الشــيخ عبد الرحمن : هـذا لم يرد فيه شىء عن النبى ﷺ ٠ فلما اعلمنى بذلك قلت له : الأمر سهل فى ذلك ، لو يؤاخذه الله تعالى على ذلك ٠ فرايت رســول الله ﷺ وقال لى : عليك بالاطلاع على اقوال امام دار هجرتى ، والوقوف عندها ، فانه شــهد آثارى ٠

فعلمت ان توقف الشيخ عبد الرحمن عن القراءة لعدم ورود شىء فيها افضل من الابتداع ولو استحسنه العلماء ، وعلمت ان الامام مالك رضى الله عنه من أشــد الناس اتباعا للسنة المحمدية ، فلذلك طالعت المدونة الكبرى والموطأ ، وحررت منهما المسـائل التى اختص بها الامام

مالك عن الائمة ، لاقف عندها عملا باشارة رسـول الله ﷺ ، وكانت هذه الرؤية كرامة للشيخ عبد الرحمن لان رسول الله ﷺ نصره على فاسأل الله تعالى ان يزيده من فضله ، وان ينفعنا ببركاته فى الدنيا والآخـرة . آمين آمين آمين .

الشيخ عبد القادر المرشـدى

ومنهم الشيخ الصالح الورع الزاهد الشيخ عبد القادر المرشـدى رضى الله تعالى عنه . صحبته سنتين عدة فما رايت عليه شيئا فى دينه ، ورايته رضى الله عنه على قدم عظيم فى الزهد والورع وهضم النفس حى كانه تراب ، مع ما هـو عليه من حسن الخلق والكرم ، وحفظ الجوارح ، وحـلاوة المنطـق .

اخذ العلوم الشرعية وتوابعها عن عدة من المشايخ منهم المشـايخ العلامة المجمع على جلالته وورعه وزهـده وعلمه الشيخ ناصر الدين اللقانى ، فاشـتغل عليه حتى تبخر فى العلوم ، واجـازه بالافتـاء والتدريس ، فدرس وافتى فى حياة مشـايخه .

وكان الشيخ ناصر الدين اللقانى يرسل له الأسئلة فيجيب عنها بأحسن جواب ، وهو على قـدم عظيم فى احتمال الاذى ممن آذاه ، ولا يقابل احدا من اعدائه بسـوء ، بل يصبر ويدعو الله بالمغفرة ، وما رايته قط زاحم على شيء من وظائف العلماء ، ولا تردد لأحد من أبناء الدنيا ، واذا جالسـه احد لا يكاد يفارقه من حسن خلقه وهضم نفسه ، وجليسـه فى راحة منه ، لا يكان يسمع كلمة واحدة منه فى حق أحد من المسلمين ، وقل مجلس يسلم الآن من ذلك .

وله قيـام عظيم فى الليل ، وصيام كثير بالنهار ، لم يزل مكبـا على الاشتغال بالعلم والعمل وتعليمه منذ دخل الجامع الأزهر ، ولم يلتفت الى شيء من شـهوات الدنيا من ماكل او ملبس او منكح او مسكن ، قد رضى من الدنيا باقل القليل ، يحب الخمول ويكره الشـهرة ، يقنع بالكسرة

اليابسة ، ويشكر الله عليها ، ولا يري نفسه يستحقها ، لم يزل بمعزل عما أقرانه فيه من شدة الحسد بعضهم لبعض ، لذلك رفعه الله تعالى عن اقرانه ، وجعل الناس يقفون عند قوله · وأوصافه الجميلة الحسنة تجل عن تصنيفى · فأسال الله تعالى أن يزيده من فضله · آمين ·

الشيخ زين العابدين الجيزى

ومنهم الشيخ الصالح العالم الزاهد المجمع على جلالته وعلمه ودينه وضبط جوارحه ، وخوفه من الله تعالى وخشيته له ، الشيخ زين العابدين الجيزى · صحبته نحو عشر سنين الى الآن ، فما رايت عليه شيئا يشينه فى دينه ، بل نشأ فى علم وأدب وعبادة وخير ·

اخذ العلم عن جماعة منهم الشيخ العلامة المحقق ناصر الدين اللقانى ، فاشتغل عليه حتى تبحر فى علوم الشريعة ، وأجازه بالافتاء والتدريس ، وكان يرسل اليه بالأسئلة المشكلة فيجيب عنها فى حياة شيخه ، فيفرح شيخه بها ·

وما سمعته قط يذكر احدا من اقرانه الذين يحسدونه بسوء ، بل يجلهم ويكرمهم فى غيبتهم وحضورهم ، ولا يؤاخذ احدا منهم على ما وقع منه فى حقه ، بل هو كثير الاحتمال للأذى بطيبة نفس ، وما رأيته قط زاحم على شيء فيه رئاسة ، ولا تردد الى احد من الأكابر ·

وعرضوا عليه عدة وظائف فأبى أن يقبلها وقنع من الدنيا بالكسرة اليابسة والثياب الدون ، مع كثرة تواضعه وحسن خلقه وبشاشته وحلاوة منطقه ، يقول جليسه : ما رايت خلقا احسن منه ولا اكثر تواضعا ، وكان الله قد محق من نفسه كل خلق ردىء(١) وأبدله خلقا حسنا · ولولا أنى اعرف منه محبة الخمول وكراهة الشهرة لأبديت لأهل عصره من اخلاقه ما يبهر العقول ، ولكنها سوف تظهر لهم فى الآخرة · فأسال الله تعالى

---

(١) فى الأصول : محق نفسه من كل خلق ردىء ·

ان يفسح من أجله للمسلمين ، وأن ينفعنا ببركاته وبركات علومه فى الدنيا والآخرة ٠

الشيخ فتح الدين الدميرى

ومنهم الشيخ الامام العالم العلامة الأخ الصالح الورع الزاهد الشيخ فتح الدين الدميرى رضى الله تعالى عنه ٠ صحبته نحو خمس سنين فما رايته زاغ عن الشريعة فى شىء من أحواله ، بل هو خائف من الله عز وجل ، كثير الحياء منه ، كثير المراقبة له ، ما اجتمعت به قط الا حصل لى منه مدد بمجرد رؤية وجهه المكرم ٠

تولى القضاء مرة ، ثم عزل نفسه بحيلة ، ثم طلبوه ان يتولى فأبى واقبل على العلم والعمل والتأهب للدار الآخرة ، وله قيام عظيم فى الليل ، وبكاء وتضرع وابتهال ومراقبة لله تعالى ٠

اخذ العلوم الشرعية وتوابعها من جماعات ، وأجازوه بالافتاء والتدريس فى جامع الأزهر وغيره ، كشيخ الاسلام شمس الدين اللقانى ، وأخيه الكامل المحقق الشيخ ناصر الدين ، والشيخ نور الدين البحيرى ، والشيخ شمس الدين النقاى شارح المختصر ، وشيخ الاسلام يحيى الدميرى، والشيخ أبى الفضل المحلى واطلعنى على خطوطهم جميعا باجازته رضى الله تعالى عنهم ٠

وصحب جماعة من الصوفية واخذ منهم الطريق ، كالشيخ محمد الشناوى شيخنا ، والشيخ عبد الحليم بن مصْلح ، والشيخ أبى السعود الجارحى رضى الله تعالى عنهم واقبلوا عليه اقبالا عظيما ، وأحبوه ، وحصل له منهم مدد كبير فأسال الله تعالى ان يزيده من فضله ، وأن يحشرنا فى زمرته مع العلماء العاملين ٠

وكان أخى العالم الصالح الشيخ عبد الرحمن الأجهورى يحبه ويبالغ فى محبته ويصفه بالزهد والورع والخوف من الله تعالى ٠

اخذ العلم عن جماعة العالم كالشيخ ناصر الدين اللقانى ، والشيخ

عبد الرحمن الاجهورى ، والشيخ فتح الدبيرى ، والشيخ نور الدين الديبلى ، وجماعة ، فأحبوه واثنو عليه ، واجازوه بالافتاء والتدريس ، ولم يزل مكبا على الاشتغال بالعلم والعمل ، وغير ملتفت الى شىء من أمور الدنيا ، طارحا للتكلف ، محبا للخجول ، كارها للشهرة ، يلبس ما وجد ، ويأكل ما وجد ، لا يكاد يعرفه احد من العلماء ·

وسمعته يقول مرات : والله ما ارى جميع ما تقلدته من العلم الا حجة على يوم القيامة بعد العمل به والاخلاص فيه(١) · وما سمعته قط يذكر أحدا بغيبة لا عدو ولا صديقا ، فأسأل الله تعالى أن يزيده من فضله · آمين اللهم آمين ·

الشيخ نور الدين الطحلاوى

ومنهم الشيخ الصالح الزاهد نور الدين الطحلاوى · صحبته عدة سنين الى الآن ، فما رأيت عليه شيئا يشينه فى دينه ، ونشأ فى علم وأدب ونسك وعبادة · واخذ العلم عن جماعة منهم الشيخ ناصر الدين اللقانى ، والشيخ تقى الدين الدميرى وأجازوه بالافتاء والتدريس ، فأفتى ودرس ، وانتفع به خلائق ، ولولا أنى أعلم منه كراهة الشهرة لأظهرت من محاسنه عجبا ، فأسأل الله ان يزيده من فضله ·

الشيخ غنيم

ومنهم الشيخ الصالح العابد الزاهد الشيخ غنيم شيخ قبة السلطان الغورى رضى الله تعالى عنه · صحبته سنين فما رأيت عليه شيئا فى دينه ، ونشأ على علم وعمل وديانة وخير ، وكف جوارح عن المخالفات ، وما سمعته قط يحسد احدا من المسلمين على شىء من الدنيا ، ولا يستغيبه ،

---

(١) لأن الانسان لا يمكن مهما اخلص وعمل ان يؤدى مطالب العلم على وجهها ، وان فرض أنه اداها فلا يمكن ان يقوم بحق شكره ، كما لا يمكن التحرز عن مداخل النفس فيه ·

وله تهجد بالليل ، بحيث لا يراه أحد الا مصادفة ، فأسأل الله أن يزيده علما وعملا ودينا وزهدا وصلاحا ٠

الشيخ ناصر الدين الصعيدى

ومنهم الشيخ الصالح العالم العامل بعلمه ، الخائف من الله عز وجل ، ناصر الدين الصعيدى رضى الله عنه ٠ صحبته صحبة قلبية فرايته على قدم عظيم فى الايمان والخشية والخوف من أهوال يوم القيامة ، وله تهجد عظيم بالليل ، لا يكاد يغيب عن شىء من المواكب الالهية من حين العشاء الى أن يطلع الفجر ٠

اخذ العلم عن جماعة منهم الشيخ ناصر الدين اللقانى ، والشيخ عبد الرحمن الأجهورى ، واجازه أشياخه بالفتوى والتدريس ، فدرس فى حياة أشياخه ، وافتى وانتفع به خلائق ٠

وما رايته قط يزاحم على شىء من أمور الدنيا ، ولم يتردد الى بيوت احد من الظلمة وأعوانهم ، بل لم يزل مكبا على الاشتغال بالعلم والعمل ، محبا للخمول كارها للشهرة ، فأسأل الله أن يزيده من فضله ، وأن يفسح فى أجله للمسلمين ٠

وقد ذكرت مناقب المالكية فى كتاب المفاخر والمآثر ، فراجعة ٠

وأما أصحابنا من علماء مذهب الامام الشافعى رضى الله عنه فمنهم الشيخ الامام العالم ٠

الشيخ ناصر الدين الطبلاوى

رضى الله تعالى عنه ٠ صحبته نحو خمسين سنة فما رأيت فى اقرانه أكثر عبادة لله تعالى منه ، لا تكاد تراه الا فى عبادة ، اما يقرأ القرآن ، واما يصلى ، واما يعلم الناس العلم ٠ وانتهت اليه الرئاسة فى سائر العلوم بعد موت أقرانه ٠ ولما دخلت مصر سنة احدى عشر وتسعمائة كان رضى الله عنه مشهورا فى مصر بكثرة رؤيته رسول الله ﷺ ، واقبل

عليه الخلائق اقبالا كثيرا بسبب ذلك ، فأشار عليه بعض الأولياء باخفاء ذلك ، فأخفاه ، وليس فى مصر الآن أحد يقرأ فى سائر العلوم الشرعية وآلاتها(١) الا هو فقط ، وأما غيره فيدرسها فى بعضها دون بعض .

وقد عدوا ذلك فى جملة كراماته ، فانه من المتبحرين فى علم التفسير والقرآن والفقه والحديث والأصول والمعانى والبيان والحساب والمنطق وعلم الكلام وعلم التصوف ، وله الباع الطويل فى كل هـذه العلوم ، وما رأيت فى مصر أحفظ لمنقول هـذه العلوم منه ، فكأنها كلها نصب عينيه ، وشرح البهجة الوردية شرحين ما وضع مثليهما . جمع فيهما ما فى شرحى البهجة لشيخ الاسلام وزاد عليهما ما فى شرح الروض وغيره . وولى تدريس الخشابية . وهو من اجل تدريس فى مصر ، يجتمع فى درسه غالب طلبة العلم فى مصر ، وشهد له الخلائق بأنه أعلم من جميع أقرانه وأكثرهم تواضعا ، واحسنهم خلقا ، وأكرمهم نفسا ، لا يكاد واحد يطلع عليها لكثرة اخفائه لها ، ولا يبيت على دينار ولا درهم ، مع كثرة دخله تبعا لشيخه الشيخ زكريا .

وقد عاشرته مدة عشرين سـنة أطالع أنا واياه على شيخ الاسـلام المذكور ، فكنت أطالع من طلوع الشمس الى الظهر ، ويطالع هو من الظهر الى غروب الشمس ، فما كنت اظن ان أحدا فى مصر أكثر منه جلوسا ، فكنت اذا نظرت الى وجه الشيخ ناصر سررت ، واذا نظرت الى وجه شيخ الاسلام سررت ، وكان النهار الطويل يمضى كانه لحظة من حسن أدبه وأدب شـيخه ، ومن حلاوة منطقهما ، وكثرة فوائدهما ، لا سيما فى علم التأليف والوضع ، وضم الشـكل الى شـكله ، وتوطئة الألفـاظ .

وبالجملة فأوصافه الجميلة تجل عن تصنيفى وتأليفى ، كما يعرف

---

(١) مثل علم المعانى والبيان والبديع والنحو والصرف .

ذلك من كشف الله تعالى عن بصيرته فى هضم نفسه ، حتى كان الله تعالى لم يجعل فى باطنه شيئا من الأمراض الباطنة ، ولا من الظاهرة من الأقوال الرديئة ، فانى ما سمعته قط يحسد أحدا من اقرانه ، ولا يستغيب أحدا منهم ، ولا رايته قط يتكبر على أحد من المسلمين ، بل يرى نفسه أحقر خلق الله عز وجل ، يقبل يد الكبير ويد الصغير ، ويطلب الدعاء منهم ، وما زارنى قط وزرته الا قال : ضع يدك على صدرى لعل الله يطهره من الأدناس ، والناس عنده كلهم صالحون ، لا يكاد يشهد فى أحد سوءا أبدا .

ولما افترى بعض الناس الحسدة فى جامع الازهر اننى ادعيت مقام الاجتهاد المطلق ، وثارت فتنة عظيمة قال رضى الله عنه : ان ثبت ذلك ذلك عن عبد الوهاب فأنا أول من يقلده ، ويعمل بمذهبه . وهذا تواضع عظيم ما سمعته من أحد من أهل عصرى ، فان الأشياخ اجمعوا على ان اعلى مقام فى التواضع لطالب العلم أن تسمح نفسه ان يقرأ العلم على احد من اقرانه ، فكيف بمن سمحت نفسه ان يقرأ العلم على شخص من طلبة أقرانه .

فاسأل الله تعالى ان يفسح فى اجله ، وينفعنا به والمسلمين وببركاته وبركات علومه فى الدنيا والآخرة .

الشيخ عبد الحميد السمهودى

ومنهم الشيخ الامام الكامل الراسخ فى العلوم الشرعية والمعقولات الشيخ الصالح الورع الزاهد الشيخ عبد الحميد السمهودى رضى الله تعالى عنه . صحبته نيفا واربعين سنة فما رايت عليه شيئا يشينه فى دينه ، بل نشأ على العلم والأدب والعبادة والفتوة والكرم وحسن الخلق ، وما رأيت فى اقرانه اعف منه ، ولا اعز نفسا منه ، لا تراه يذل لأحد من الولاة ، ولا يزاحم على شىء من الدنيا ومكث مدة طويلة يتجر ويأكل من كسبه ، ويطعم فاضل كسبه للأصحاب والمترددين ، وتاجر فى طبخ

السكر مدة ، ثم ترك ذلك واقبل على العلم والعبادة والقناعة وملازمة بيته الا لضرورة شرعية .

اخذ رضى الله عنه العلوم عن جملة من مشايخ الاسلام كالشيخ نور الدين المحلى ، والشيخ برهان الدين بن ابى شريف ، والشيخ عبد الحق السنباطى ، والشيخ ملا على العجمى ، والشيخ كمال الدين الطويل ، وتبحر فى العلوم ، واجازه اشياخه بالافتاء والتدريس من نحو خمسين سنة ، وما رايته قط يسىء الظن بأحد من المسلمين ، ولا يحسد أحدا منهم على مال أو اقبال من الخلق ، بل هو حافظ للسانه عن ذكر أحد بسوء بغير حق ، جميل المعاشرة ، مهيب المنظر ، يطعم الطعام لكل وارد عليه ، ولا يدخر عن ضيفه شيئا من لطائف الطعام ، كثير العفو والصفح عن كل من جنى عليه ، لا يجزى بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، لم يزل نور العلم طافحا من ذلك الوجه المنير واللحية النيرة البيضاء ، ولو أنى اخذت أذكر اوصافه الجميلة لضاق عنها الدفاتر .

فأسال الله تعالى أن يزيده من فضله ، وأن يحشرنا فى زمرته . آمين . آمين . آمين .

الشيخ نجم الدين الغيطى

ومنهم الشيخ الامام العالم العلامة ذو الأخلاق والأوصاف الجميلة والأخلاق المحمدية ، والشيم المرضية ، الشيخ نجم الدين الغيطى ، رضى الله عنه .

صحبته نيفا واربعين سنة الى الآن ، فما رايته ، وما وقع بصرى على شىء يشينه فى دينه ، بل نشأ على عفة وعلم وادب وحياء وكرم نفس وحسن خلق .

اخذ العلم عن جماعة من مشايخ الاسلام ، كالشيخ زكريا والشيخ برهان الدين بن ابى شريف والشيخ عبد الحق السنباطى والشيخ كمال الدين الطويل والشيخ شهاب الدين الرملى ، واجازوه بالافتاء والتدريس ،

فافتى وأفتى فى حياة أشياخه باذنهم ، والقى الله محبته فى قلوب الخلق، فلا يكرهه الا محروم أو منافق .

انتهت اليه الرئاسة فى علم التفسير والحديث والتصوف ، ولم يزل آمرا بالمعروف ، ناهيا عن المنكر ، يواجه بذلك الأمراء والاكابر ، لا يخاف فى الله لومة لائم .

ولما وقعت فتنة أخذ وظائف الناس بغير حق من بعض المفتين انتدب لها وواجه الباشات والأمراء بكلام لا يقدر عليه أحد من اقرانه أن يتلفظ به ، وكان خمود الفتنة على يديه ، ووصل خبره الى الروم والحجاز والشام ، وشكره المسلمون على ذلك .

وتولى مشيخة الصلاحية بجوار الامام الشافعى ، ومشيخة الخانقاه الرناموسية ، وهما من اجل وظائف مشايخ الاسلام من غير سؤال منه . واجمع اهل مصر على جلالته ، وما رايته قط بغتاب أحدا من اقرانه ، ولا غيرهم وآذاه بعض الناس الآذى فلم يقابله بكلمة واحدة ، فازداد بذلك هيبة ومحبة فى قلوب الناس ، وازداد عدوه مقتا وطردا وكراهة .

وكتب رضى الله عنه على بعض مؤلفاتى كتابة لم يسبق اليها أحد ، لأن هـذا المؤلف جمعت فيه نحو ثلاثة آلاف علم اذا سمعه العالم انكره ، ولا يكاد يصدق بتلك العلوم الا ان رآه . وما رأيت فى اقرانه اكثر تواضعا منه ، وما رأيت أحدا من أولياء مصر الا وهو يحبه ويجله ، لا سيما الشيخ نور الدين لأنه كان من اصحاب الشيخ نور الدين الشونى . وله تهجد فى الليل وبكاء وتضرع وخشية من الله عز وجل ، حتى انه يصبح فى بعض الليالى ووجهه يضىء كالكوكب الدرى ، يدرك ذلك من فى قلبه نور ، ولا يجهله الا عدو أو حاسد .

ولما افترى على بعض الحسدة انى ادعيت الاجتهاد المطلق ، وان اتباعى كثرت فى مصر ، وكتبوا بذلك ، وقصد الى باب السلطان ، قال : ان لم تخرجوا عبد الوهاب من مصر والا خيف على المملكة . فانتصر لى

رضى الله عنه ورد عنى الأعداء اشد الرد ، وقال : أما وقوع الاجتهاد ممن يدعيه فى كل عصر فهو ممكن ، ولا ينكره الا جاهل ، فان من شرط القاضى ان يكون مجتهدا ، وما شرط العلماء ذلك الا لامكانه فى كل عصر ، وأما كثرة أتباعه فلم تزل الفقراء لهم خلائق يعتقدونهم ، وأما خشية المنازعة للمملكة فالحس يكذب هؤلاء الحسدة ، لأن الرجل لا يمشى فى السوق الا وحده ، وهو زاهد فى الدنيا تعرض عليه فيردها ، فكيف يتصور منه مزاحمة عليها ، وأجاب عنى بنحو خمسين جوابا .

ثم ان الذى حمل القصد الى باب السلطان حصل له استسقاء ، ثم فالج ، ومات به ، وتمزق كيد الحسدة كل تمزق ببركة الشيخ نجم الدين رضى الله عنه ، فجزاه الله عنى خيرا وعن المسلمين ، وزاده علما وعملا وزهدا وورعا وصلاحا ، ولا زال فى زيادة حتى يلقى الله وهو عنه راض . آمين اللهم آمين .

وكانت وفاة الشيخ نجم الدين نهار الأربعاء سابع عشر لصفر الخير سنة احدى وثمانين وتسعمائة .

الشيخ نور الدين الطندتاوى

ومنهم الأخ الصالح العالم الزاهد الكامل الراسخ المحقق الشيخ نور الدين الطندتاوى رضى الله عنه ، صحبته نحو سبعة وأربعين سنة فلم أر عليه شيئا يشينه فى دينه ، وهو أول من صحبته بجامع الأزهر من أهله ، لم يزل لأحد من حين صحبته ، عاش على تقوى وصلاح وورع واشتغال بالعلم والعمل ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، لا يداهن أحدا .

وأخذ الطريق عن سيدى على المرصفى ، والشيخ محمد الشناوى وغيرهما . وأخذ العلم عن جماعة من مشايخ الاسلام ، كالشيخ ناصر الدين اللقانى ، والشيخ شهاب الدين الرملى حتى تبحر فى علوم الشريعة ، وأجازوه بالافتاء والتدريس ، فدرس وأفتى فى جامع الأزهر فى حياة

أشياخه ، (وكانوا) (١) يرسلون اليه الأسئلة فيجيب عنها بأحسن جواب .

وكان الشيخ شهاب الدين الرملى يقول : تحقيق المسائل الواقعة فى الدرس للشيخ نور الدين الطندتاوى ، وجمع أشتات المسائل للشيخ شمس الدين الخطيب الشربينى .

ورأيت رسول الله ﷺ فى حياة الشيخ نور الدين الشونى ، وشهد له رسول الله ﷺ بالتواضع ، وذلك أنى رأيت مقصورة الجامع الأزهر قد فرشت كلها بالحرير الأخضر ، حتى الحيضان والسقف والعمد ، ورأيت الشيخ نور الدين الشونى جالسا مع رسول الله ﷺ ، والشيخ نور الدين الطندتاوى جالسا بجانب الشيخ نور الدين الشونى ، ورأيت الشيخ شهاب الدين البلقينى ، وجماعة مجلس الصلاة على النبى ﷺ جالسين بعيدا عن رسول الله ﷺ ، فقال شخص : يارسول الله ، ما سبب قرب هذا منك ولم يكن اكثرهم صلاة عليك ؟ فقال رسول الله ﷺ : سبب ذلك كثرة تواضعه وهضم نفسه .

وكان شيخنا الشيخ نور الدين رحمه الله يحبّ الشيخ الطندتاوى ويجله ويكرمه اكثر من سائر أصحابه وأقرانه حتى كأنه ولده البار بوالديه، وكان الشيخ محمد الشتاوى شيخنا يحبه ويصفه بصفاء السريرة ، وعدم محبته الدنيا ويقول : ان الشيخ نور الدين الطندتاوى من أجل أصحابنا واخواننا وأكثرهم تواضعا ، ويصفه بعدم الحسد والغل والحقد والكبر والرياء والنفاق وكأن الله تعالى لم يخلق فيه شيئا من أمراض الطريق(٢).

ولما افترى على بعض الحسنة أننى ادعيت الاجتهاد المطلق ، وكان غالب أصحابى يتكلمون فى مرضى الا هو وبعض المتورعين من طلبة

---

(١) سقطت من ب ، جـ .

(٢) يريد طريق الصوفية ، ومن أهم أمراضه : الرياء والكبر والحسد والدعوى وغيرها .

العلم ، وكذلك لما دس بعض الحسدة فى مؤلفاتى كلمات تخالف ظاهر الكتاب والسنة بادر غالب الناس الى الكلام فى عرضى الا هو والشيخ شمس الدين الخطيب وبعض جماعة • فجزاه الله عنى وعن المسلمين خيرا ، فلم يزل يحمل الناس على أحسن المحامل ويقول اذا بلغوه عن احدٍ كلاما غير مرضى ، هذا كذب على فلان ، وحاشا فلان أن ينطق بذلك(١) • وأعطاه محمد بن بغداد مالا جزيلا لحضرته فلم يقبله ، فقلت له : فرقه على الأيتام ومجاورى الجامع الأزهر ، ففعل •

وما سمعته مدة صحبته لى يذكر أحدا من المسلمين بسوء ولا يحسد احدا من اقرانه على وظيفة حصلت له • فأسأل الله تعالى أن يزيده من فضله • آمين •

الشيخ شمس الدين الخطيب الشربينى

ومنهم الأخ الصالح العامل المقبل على عبادة ربه ليلا ونهارا الشيخ شمس الدين الخطيب الشربينى رضى الله عنه • صحبته نحو أربعين سنة ما رأيت عليه شيئا يشينه فى دينه ، ولم أر فى أقرانه مثله فى حفظ الجوارح ، وغفلته فى السعى على الدنيا ووظائفها ، ومضايقة أهلها ، ولم يزل مكبا على الاشتغال بالعلم والعمل به وتعليمه للناس ، لا تجده الا فى مطالعة علم أو صلاة أو قراءة أو صامتا ، يتفكر فى أهوال يوم القيامة ، وله تهجد فى الليل ، وصيام كثير فى النهار ، ولم أسمعه مدة صحبتى له يذكر أحدا من أقرانه بسوء ، ولا يحسد أحدا منهم على ما آتاه الله تعالى من علم أو مال أو اقبال من الأكابر ، ولا غير ذلك من رعونات النفوس ، وما رأيت من أقرانه أكثر اعتكافا منه فى رمضان وغيره ،

(١) ليس معنى هذا ان يسكت على خطأ ولكن كان يدافع عن العلماء العاملين ما دس عليهم •

ومن عادته أن يدخل الجامع الأزهر أول ليلة الصيام فلا يخرج الا بعد صلاة العيد .

وقد أخبرنى ولده سيدى عبد الرحمن أنه لا يتمشى دائما فى رمضان الا بعد صلاة التراويح ، فيأكل لقيمات يسيرة ، ويشرب ماء كثيرا ، وحجت معه حجتين ، فما رأيت أحدا فى أقرانه أكثر مشياً منه ، فلا يركب الا بعد تعب شديد ، ويعزم عليه الجمال أن يركب فيأبى رحمة بالحمل .

ورأيت شخصا سمينا من طلبة العلم اشتكى جماله لأمير الحج الذى قال له : امش شيئا عن الجمل فى الأرض . فبان الصدق بين الرجلين ، مع أن هذا السمين لا يعده الشيخ شمس الدين أنه يصلح أن يكون من طلبته .

ولم يزل من حين يخرج من بركة الحاج يعلم الناس المناسك وآداب الطريق وكيفية القصر والجمع ، ويحثهم على الصلاة ، وربما يعطى السائل عشاءه ويطوى تلك الليلة ، وكان غالب سفر الحج ومدة اقامته بمكة صائما لا يفطر فى غالب لياليه ، يكتفى بشرب الماء من زمزم ، وما رأيت أكثر تلاوة للقرآن منه ، ولا أكثر طوافا مدة اقامته بمكه ، وطلبت يوما أن أساويه فلم أقدر على ذلك .

وأما خشوعه وتدبره فى القرآن فغريب فى أهل مصر ، وكذلك حبه للخمول وعدم الشهرة مدة اقامته بمكة ، فلا يكاد واحد يعرفه . لا يحرم الا وحده ، ويجلس بين الفقراء الذين لا يعبأ بهم فلا يكاد أحد يعرفه الا بجهد . وغالب من يحج من طلبة العلم ربما يكون بالضد من ذلك ، فيود أن أهل مكة يعرفونه ، ويبدى لهم العلوم الغريبة ، ويجد فى نفسه حلاوة من ذلك ، وبعضهم يخرج من مكة ممقوتا لريائه ونفاقه فى حضرة الله تعالى الخاصة .

وقد رأيت من يدعى الصلاح يصرخ فى مكة بأنه أعلم من فى مصر والشام والروم ، وبلغه أن الشريف عزم على زيارتى ، فلم يزل يتوسل اليه حتى ترك زيارتى خوفا أن يميل عنه الى كثرة نصبى وحبلى ،

فضحكت من ذلك ، فان من قواعد طريقتنا انى لا أمكن احدا من الأكابر ان يأتى الى ، وان علمت عزمه على زيارتى ذهبت اليه انا ، والحمد لله رب العالمين .

أخذ الشيخ شمس الدين العلم عن جماعة من علماء مصر ، كالشيخ ناصر الدين اللقانى ، والشيخ جمال الدين الصافى ، والشيخ ناصر الدين الطبلاوى ، والشيخ شهاب الدين الرملى ، وتبحر فى العلوم على أيديهم ، واجازوه بالافتاء والتدريس ، فدرس وافتى فى حياة اشياخه وانتفع به خلائق لا يحصون . واجمع اهل مصر على دينه وصلاحه ، ووصفوه بالعلم والعمل والزهد ، وكثرة النسك والعبــادة . وشرح كتاب منهاج الفقه ، وكتاب التنبيه شرحين عظيمين ، جمع فيهما تحريرات اشياخه بعد الشيخ زكريا ، واقبل الخلائق على كتابتهما وقراءتهما عليه ، وما رأيته قط يسعى على شىء من أمور الدنيا ، ولا على شىء فيه رئاسة ، ولا يزاحم احدا على صحبة احد من الولاة والقضاة ، بل ربما لا يعرف احدا منهم .

وتفضل على بزيارتى ما لا احصى له عددا ، ولمــا عجزت عن مكافاته علمت ان الله تعالى اراد ان يكون له الفضل على ، وما رأيت أخف زيارة منه ، ولا اكثر ادبا ، وما دق على الباب قط ، بل يقف على الباب ساعة ، فان لم يفتح له احد رجع وقرأ الفاتحة مشرحا غير متأثر من ذلك ، وقل أن يقــع مثل ذلك من طلبه العلم ، بل يدق بعضــهم على الباب ، فان لم يحبه احد سب ، ولا خلى ولا الفى ، وحملنى على اسوأ المحامل واشرها ، وربما دخلى على هجما ، ويرى له الفضل على ، فلا يخرج من عندى حتى أصبر كانى شربت رطــلا من السم ، فلا حــول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

وقد باسطت الشيخ شمس الدين الخطيب يوما فقلت له : كيف تجىء لمثلى ، فلا يفتح لك ولا تتكدر ؟ فقال : قد قال الله تعالى : « وان قيل

لكم ارجعوا فارجعوا ، هو ازكى لكم » كيف أتغير من حصوله لى ؟ فقلت : جزاك الله عن اخوانك خيرا .

وبالجملة فأوصافه الحسنة تجل عن تصنيفى ، فأسأله تعالى أن يزيده من فضله ، ويحشرنا فى زمرته مع العلماء العاملين . آمين .

الشيخ ابو البقاء بن جبيلات

ومنهم الشيخ الصالح العالم الورع الزاهد أبو البقاء بن جبيلات القاضى بجامع الصالح صحبته نحو خمسين سنة فما رأيته زاغ عن الشريعة المحمدية بل نشأ فى فقه وعبادة وورع وزهد وتلاوة قرآن وعلم .

أخذ العلم عن جماعة من مشايخ الاسلام ، كالشيخ زكريا ، والشيخ برهان الدين بن أبى شريف ، والشيخ كمال الدين الطويل ، والشيخ سعد الدين الذهبى ، والشيخ عبد الحق السنباطى ، وأجازوه بالافتاء والتدريس ، تولى القضاء بإشارة بعض الأولياء ، فكلما عزل نفسه تعيده الولاة الى القضاء ويسلم الأمر الى الله تعالى ، وأجمع الناس على أنه ليس فى مصر الآن مثله ، ولا مثل محب الدين المالكى فى الدين والورع ، وقدموه على جميع أقرانه وقالا : ان القضاء يتحتم على مثله لما علموه من شدة دينه وعدم قبوله الرشوة من أحد مطلقا لا سرا ولا جهرا ، هذا على كثرة ضبط جوارحه عن المخالفات ، وكثرة تلاوة القرآن فى المصحف نهارا وليلا فى التهجد ، وما ضبطوا عليه قط أنه حسد أحدا ولا ذكره بسوء ولا زاحم على شىء من مناصب الدنيا .

وأخبرنى من يخالطه بالليل أنه لم ينم من الليل الا قليلا ، ثم يقوم فى دهليز داره . وأخبرنى المقدم أحمد الكافورى قال : ما مررت قط مع الولى فى الليل الا وجدت الشيخ أبا البقاء يتلو القرآن خلف باب داره .

ومما يؤيد ذلك أننى لم أزل أرى الشيخ أبا البقاء ساكنا فى قبة عظيمة وسط تربة واسعة . فأول ذلك بحياته وموت جيرانه ، لقيامه بالليل وكثرة

نومهم . وأخبرنى الشيخ شهاب الدين بن مخلطة صهره أنهم ما ضبطوا عليه قط انه نام عنه عياله بالليل سوى لحظة واحدة .

ولما حججت سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة قال لى أخى سيدى محمد الحنفى الشاذلى : امرادنا ان نجتمع بأحد من الأولياء بمكة ؟ فقلت له : ان هذه حضرة الله الكبرى ، فلا يكاد احد يظهر فيها ، ولكن نسأل الله تعالى أن يطلعنا فى هذه الليلة على أحد ممن اصطفاه لحضرته فى هذا الزمان ، ولا يعلم بنفسه ، وكنا فى الحجر تحت الميزاب فى ليلة مقمرة فتواطأت رؤيتى بين النائم واليقظان ، اذ دخل على اثنا عشر رجلا من فتحتى الحجر الغربية ، وامامهم شخص طويل القامة ينادى بأعلى صوته : هؤلاء الاثنا عشر رجلا ممن اصطفاهم الله لحضرته ، ولا يعلمون بأنفسهم ، وكان أول داخل منهم الشيخ أبو البقاء هذا ، ثم الشيخ حسن الحديدى بجامع الأزهر ثم الشيخ عبد القادر ، ثم الشيخ مبارك بسوق اللوق ، ثم بقية الجماعة .

فعلمنا بهذه الرؤية مقامة فى الولاية الكبرى . وعزل نفسه من القضاه فأخبرت بذلك سيدى على الخواص رحمه الله تعالى فقال لى : كلمة يطلب القضاء بمحكمة جامع الصالح ، لقربها من بيت الوالى ، ليصير يلاطف أرباب التهم والجرائم ، فان بيت الوالى قطعة من نار جهنم ، وأنت جعلك الله رحمة . فسمع من الشيخ ، فلم يزل فيها الى وقتنا هذا .

وعزله بعض قضاة العساكر لما قالوا له : ان أمره مشغول بالعبادة ويفرط فى المحصول ، فوقف أهل مصر للباشا محمد ، ومالوا فى رده للقضاء ففعل . وقالوا له : يا مولانا ليس فى بلدك كلها مثله .

فأسأل الله تعالى ان يزيده من فضله علما وعملا ً وزهدا وورعا وخشية منه تعالى حتى يلقاه وهو راض عنه .

الشيخ محمد بن شهاب الدين الرملى

ومنهم الشـيخ الامام العالم العـلامة المحقق صاحب العلوم المحررة والأخلاق الحسنة ، والأعمال المرضية ، سيدى محمد ، ولد شيخنا الشيخ شهاب الدين الرملى صحبته من حين كنت أحمله على كتفى الى وقتنا هذا ، فما رأيت عليه شيئا يشينه فى دينه ، ولا كان يلعب فى صغره مع الأطفال ، بل نشأ على الدين والتقوى والصيانة وحفظ الجوارح ونقاء المرض ٠

رباه والده فاحسن تربيته على زيادة التوفيق من الله عز وجل ٠ ولمـا كنت أحمله على كتفى وانا أقـرأ على والده العلم فى المدرسـة الناصرية كنت أرى عليه لوامح الصلاح والتقوى والتوفيق ، وحقق الله تعالى رجاءنا فيه ، وأقرأ عين المحبين ، فانه الآن مرجع اهل مصر فى تحرير الفتاوى ٠ واجمعوا على دينه وصلاحه وورعه وحسن خلقه ، وكرم نفسـه ، ولم يزل بحمد الله فى زيادة من ذلك ٠

أخذ رضى الله عنه العلم عن والده فأعناه عن كثرة التردد والتطفل على غيره ، وبث فيه ما كان عنده من الفقه والحديث والتفسـير والأصول والنحو والمعـانى والبيان وغير ذلك ٠

وكانت بدايته كما قيل نهاية ابيه ، وقـد اجمع القوم على أن المريد اذا صح اعتقاده فى شيخه وقبل كلامه بالايمان والتسليم فقد سـاواه فى العلم ، وما بقى لمعلمه عليه الا مقام بالافاضة عليه من علومه(١) ٠

وقـد بث والده جميع ما كان عنده من تحريرات العلوم ، ولمـا مات والده وجلس يدرس فى الجامع الأزهر بعده أبدى لعلماء الجامع الأزهر من علوم والده العجب العجاب ، وما تخلف عن درسـه الا من جهل مقداره أو عمه الحسـد والمقت ٠

---

(١) الافاضـة تكون بتجاوب متبادل بين المريد والشيخ فهى من المريد توجه كامل ، وحينئذ تنطبع كل علوم الشيخ فى القلب المتوجه ٠

وقد بلغنى أن بعض أصحاب الأنفس صار يرسل بعض طلبته يكتب من سيدى محمد ما يتكلم به من المسائل المتناقضة ، ويكتب له ما يمشى عليه من الترجيح ، ثم يصير يلقى ذلك فى درسه ويفتى به ، ولو أن هذا حضر (حلقة) سيدى محمد لحصل له خير كثير . ولذلك قالوا لا ينال العلم مستحيى ولا متكبر كما قال الامام الشافعى : لا ينال هذا العلم بالغنى وعز النفس ، وانما ينال بالفقر وذل النفس .

وسمعت من بعض طلبة والده انه سمع والده يقول : تركت محمدا بحمد الله لا يحتاج الى أحد من علماء احد من علماء مصر الا فى النادر .

ولم يزل رضى الله عنه له الاعتقاد التام فى طائفة الصوفية تبعا لوالده ، يجيب فيهم بأحسن جواب . وطالع كتابى «العهود» من أوله الى آخره ، وكذلك أسماء علوم القرآن ، وهى ثلاثة آلاف علم . فقدم اليه بعض الحسدة سؤالا من مضمونه : أنى ادعيت الاجتهاد المطلق ، فبادر بعض الناس وأنكر بلوغ أحد فى هذا الزمان الى مثل ذلك ، وتوقف الشيخ وقال : ائتونى بالكتاب الذى فيه ذلك أو بينة عادلة .

فأسأل الله تعالى أن يزيده من فضله آمين .

توفى الشيخ محمد المذكور ، فى الأحد الثالث عشر من جمادى الأولى سنة أربعة بعد الألف .

الشيخ محمد البكرى

ومنهم الشيخ الامام العالم الراسخ فى العلوم الدينية ، والمنح المحمدية الكامل ابن الكامل سيدى محمد البكرى ، وشهرته تغنى عن تعريفه ، وماذا يقول القائل فى حق من أفرغ عليه العلوم افراغا لم يصح لأحد من أهل عصره فيما نعلم . فالناس أجمعوا على انه ليس على وجه الأرض أكثر علما منه ولا فى غير مصر مثله ، فلا ينكر فضله الا من عمه المقت والحسد . وقد أعطاه الله تعالى التكلم على أحوال السموات والأرض نقلا وكشفا ويقينا لا ظنا وتخمينا . وهو جدير بقول بعضهم :

وليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم فى واحد

واجتمعت به مرات ، فما رأيت أوسع منه خلقا ، ولا اكرم نفسا ، ولا اجمل معاشرة ولا احلى منطقا ٠

درس وأفتى فى علم الظاهر والباطن ، واجمع اهل الأمصار على جلالته ، ونشأ رضى اله عنه كنشأة والده على التقوى والورع والزهد وعزة النفس حتى أتته الدنيا وهى راغمة ٠ واعرف من منقابه ما لا يقدر الأقران على سماعه ، ولكن سيظهر ذلك فى الدار الآخرة ، فانه بكرى بيقين ، وأبو بكر لا يفارق رسول الله ﷺ كما لا يفارق الظل الشاخص ومن كان من رسول الله ﷺ من منزلة لا تحصى مناقبه ٠ ومما يدل على صحة نسبه الى الامام ابى بكر الصديق ما رايته بمكة المشرفة ٠

وذلك ان بعض الحسدة ذكر سيدى محمد بغيبة فزجرته عن ذلك فلم ينزجر ، ثم رأيت الامام أبا بكر رضى الله عنه وهو يقول لى : جزاك الله عن ولدى خيرا ٠ فعلمت صحة نسبه بذلك ٠

وكذلك وقع شخصا ذكرنى بسوء فى حضرة الشيخ ابى الحسن رضى الله عنه وهو ساكت ، فعتبت عليه فى نفسى ، فرأيت الامام ابا بكر رضى الله عنه وهو يقول لى استغفر الله تعالى عن ولدى رضى الله عنه ٠

الشيخ نور الدين بن أبى الطباخ

ومنهم الشيخ الامام العالم العلامة الورع الزاهد الخاشع الخائف من الله عز وجل الشيخ نور الدين بن ابى الطباخ الشافعى ٠

صحبته نحو عشرين سنة فما رايت احدا اكثر اطلاعا على مذهب الصحابة والتابعين ومن بعدهم منه ، وله فى ذلك من الحوادث من المسائل مؤلفات جيدة تذكر فى مؤلف من النقول ما تقر به العيون ورأيت فهرسها كراسا كاملا ، وله الباع الطويل فى علم الأصول ، لا سيما علم الكلام ، فانه اشعرى زمانه فيها ٠

أخذ رضى الله عنه العلوم عن شيخ الاسـلام زكريا ، وعن شيخ الاسلام برهان الدين بن أبى شريف وعن شيخ الاسلام كمال الدين الطويل، وعن الشيخ شرف الدين بن زرون وغيرهم ٠

وأخذ طريق القوم عن جماعة منهم الشيخ نور الدين المرصفى ، والشيخ أبو السعود الجارحى وغيرها ، وله فى الطريق وقائع عظيمة تؤذن بكماله فيها وبلوغه مبلغ الرجال ٠ وأخبرنى أنه كوشف بمقدار علمه، وله حرص عظيم على افادة من يجده من أهله أهلا لها ، ، فان لم يجد من هو أهل لذلك كتمه عنه ٠

وأخبرنى عى الشيخ شهاب الدين الأذرعى من اكابر الشافعية انه كان كذلك وربما قام من مجلس المناظرة مغلوبا وهو يعرف المسألة التى يقطع بها الخصم ، اذا لم يجد الخصم لها أهلا ٠

ومن خلقه قبول الفائدة ممن لا يصلح تلميذا له ، ثم يصير ينشر ذلك عنه ، ويقول : أفادنى فلان كيت وكيت ، حتى كنت اذكر له فائدة من كلام القوم ٠ فيقول اكتبها لى ، فأفعل ، ثم يقرأها ويقول : هـذا كلام فلان يكتب بماء حدق العيون ٠

ومن خلقه محبة الخمول وعدم التظاهر بالأعمال الصالحة حتى يظن طلبته وغالب الناس انه جاهل ٠

وكان الشيخ أبو المواهب الشـاذلى يقول : اذا بلغ العارف الكمال فى العرفان صار غريبا فى الأكوان ، لا يعرفه الا من أشرف على مقامه ، وقليل ما هم ٠ ثم قال :

وما غربة الأوطـان فى شـقة النـوى
ولكنهـا والله فى عــدم الشــكل

فأسال الله تعالى من فضله أن ينفعنى ببركاته فى الدنيا والآخرة ٠

الشـيخ شمس الدين العلقمى

ومنهم الشـيخ الصالح الامام العالم العلامة الورع الزاهد الخاشع المهيب الشيخ شمس الدين العلقمى الشافعى رضى الله تعالى عنه ٠

أخذ العلم عن جماعة منهم الشيخ شهاب الدين الرملى ، والشيخ ناصر الدين اللقانى وغيرهما ، وأجازوه بالفتوى والتدريس ، فدرس وافتى بجامع الأزهر وغيره ، وانتفع به جماعة كثيرة فى تحقيق العلوم الشرعية والعقلية ، وله الاعتقاد التـام فى أهل الطريق ، ويجيب عنهم بأحسن جواب لمن لا يفهم كلامهم ، وله عدة مؤلفات منها ملتقى البـحرين جمع فيه كلام الشيخين رضى الله عنهما ٠

صحبته نحو عشرين سنة فما رأيت عليه شيئا يشينه فى دينه ، قوالا بالحق ناهيـا عن المنكر ، ويواجه بذلك الأكابر والأصـاغر ، لا يخـاف فى الله لومة لائم ، وربما اجتمع عليه خلائق وتعصبوا عليه بالباطل ، فنصره الله عليهم ، وله توجه عظيم فى قضـاء حوائج اخوانه اذا أصاب أحدا منهم بلاء ، لا يتهنأ بنوم ولا عيش حتى يزول ذلك البلاء ٠

ما سمعته يذكر أحدا من أقرانه الا بخير ، وعمر عـدة جوامع فى بلاد الريف ، ورتب لها الشعائر وما رايته قط يزاحم احدا من اقرانه على دنيـا أو جاه أو صيت ، وله تهجـد عظيم فى الليل ، ومناقبـه رضى الله عنـه كثيرة ٠

الشـيخ شمس الدين الصفدى

ومنهم الشيخ الامام العالم الصالح النحوى الصوفى الشيخ شمس الدين الصفدى المقدسى الواعظ بالجامع الأزهر وغيره ٠

صحبته نحو ثلاثين سنة من حين كان شـابا ، لم يزل من صغره يحب العزلة عن الناس ، مشتغلا بالعلم والعمل ، حافظا للسانه ، مقبلا على شانه ، حتى تبحر فى العلوم الشرعية والعقلية ، وطلب طريق القوم ٠

فاجتمع على سيدى محمد بن عراق(١) واقبل عليه اقبالا عظيما ، وفرح به اشـد الفرح ، ولم يلتفت الى الدنيـا ولا الى مناصبها من حين كا صغيرا الى وقتنا هـذا .

وما رأيته يذكر أحدا بسوء من المسلمين ، ومجالس وعظه كلها خير وبركة وخشـوع وأدب ، وتفشى الرحمة جميع من حضر فيها . وما رأيته قط يتردد الى أحد من الولاة والأكابر ، ولا يتعرف الى من لا يعرفه ، وله درس عظيم فى الجامع الأزهر وغيره ، وانتفع به خلائق ، فأسأل الله تعالى أن ينفعنا ببركاته فى الدنيا والآخرة .

الشيخ ناصر الدين الدمنهورى

ومنهم الأخ الصالح العالم العلامة القائم فى دين الله تعالى بالتأييد ، لا تأخذه فى الله لومة لائم ، المهاجر بأولاده وعياله فى طلب الزيادة من العلم ، الشيخ ناصر الدين الدمنهورى .

وما رأيت فى عصرنا هـذا قط من مهاجر من بلاد فى طلب العلم هو وأولاده غيره ، وله حرص على اتبـاع السنة منه ، وصدق والله من لقبه بناصر الدين ، فانه يكاد يتميز من الغيظ اذا راى أحدا يخالف السنة فى قوله أو فعله ، وقام فى هدم الكنيستين فى ناحية « لقانة » وبلده حتى هدمهما . وعارضـه فى ذلك جمع من الولاة ، وخذلهم الله تعـالى ونصره عليهم .

وما رأيت مثله فى القيام بحق الأخوة والصحبة والضيوف والواردين عليه فى بيته لأن مورد العام والخاص .

أفتى ودرس العلم ببلاده ، وانتفع به خلائق ثم وصل الى مصر بقصـد الزيادة من العلم وما رايته قط يأكل طعام أحد من الولاة واعوانهم.

---

(١) هـو صاحب كتـاب تنزيه الشريعة عن الأحاديث الشـنيعة الموضـوعة .

وله تجهد عظيم واوارد عظيمة كثيرة فى الليل ، جميل المعاشرة ، حلو اللسان ، كثير الحيــاء والأدب ، لا يكاد يرفع صوته فى وجه جليسه ٠

فاســأل الله تعالى ان يزيده من فضله ، وينفعنا ببركاته فى الدنيا والآخــرة ٠

الشيخ شهاب الدين الطريتى

ومنهم الأخ الصالح العــالم العــلامة الكامل الورع الزاهد الشــيخ شهاب الدين الطريتى الشافعى رضى الله عنه ٠ نشأ رضى الله عنه على الفقه والزهد فى الدنيا والورع والتخلق بالأخلاق المحمدية الحســنة ، والتلبس بالشيم المرضية ٠

صحبته من منذ كان صغيرا ، فما رأيته أعرض عن الاشتغال بالعلم والأدب ، ودخل مصر وانا رجل أطالع فى شرح الروض وغيره ، فتعلم الخط ، وحفظ القرآن والبهجة من مدة يسيرة ، وشرع فى شرح ذلك على الأشياخ ، ففتح الله تعالى عليه فتوحا عظيما ، حتى صار يدرس العلم لأمثالى ويفيدهم الترجيحات ٠ فالله تعالى يزيده من فضله ٠

ومن جملة من اخذ عنهم العلم الشيخ شمس الدين الدواخلى وشيخ الاســلام كما الدين الطويل ، والشــيخ شهاب الدين الرملى ، والشــيخ ناصر الدين اللقانى ، واجازوه بالافتاء والتدريس ، ودرس وافتى فى حياة أشياخه ، وانتفع به خلائق لا يحصون فى جامع الغمرى وغيره ٠

ومنهم حين صحبته ما رايت عليه شــيئا يشينه فى دينه ، بل لم يزل على المروءة والنهضة والهمة وقضاء حوائج الناس ، ويقدمها على مهمات نفسه حتى انه سافر الى المحلة الكبرى فى قضاء حوائج الفقراء ، ويتعصب لهم فى الخير ، ويعين الفقراء على التزويج ووفاء الديون ، وله اعمال سرية لا يطلع عليها احد الا الله عز وجل ٠ فأسال الله تعالى أن يزيده من فضله آمين ٠

الشيخ شمس الدين الطنيخى

ومنهم الشيخ الامام الأخ الصالح العالم العلامة المجمع على جلالة وكثرة نفعه للعباد حتى كأن سداه ولحمته خير الشيخ شمس الدين الطنيخى الشافعى ، رضى الله عنه من حين كان بلا لحية حتى شاب فما رأيت الى الآن عليه شيئا يشينه فى دينه ، بل ربى على التقى والطهارة الظاهرة والباطنة ، وتخلق بالأخلاق الحسنة ، ولم يزل من صغره الى الآن حافظا للسانه مقبلا على شأنه ، معظما لاخوانه ، كريم النفس ، كثير الحياء والأدب ، زاهدا ورعا خاشعا خائفا من الله عز وجل ، يبكى اذا سمع بأحوال الصالحين .

وما رايته قط يزاحم على شيء من وظائف الدنيا ، ولا يتردد الى أحد من أهلها الا لضرورة شرعية ، وما سمعته قط يذكر أحد من المسلمين بسوء .

أخذ رضى الله عنه العلم عن جماعة عن الأكابر ، منهم : الشيخ ناصر الدين اللقانى ، والشيخ شهاب الدين الرملى ، وأجازوه بالفتوى والتدريس ، فدرس وأفتى وانتفع به خلائق .

وكان والده الشيخ محمود عبدا صالحا من أهل القرآن والخير ، وذريته بعضها من بعض ، وله ولد صالح اسمه عبد الرحمن نشأ على خير وتقوى وكمال وعلم وعمل وقرأ على كتاب السنن الكبرى للبيهقى . فأسأل الله تعالى من فضله ان يرفعه الى مقدار والده وزيادة ، وأن ينفعنا ببركاته ، وبركات والده ، فى الدنيا والآخرة .

الشيخ نور الدين القبيلى

ومنهم الشيخ الامام العلامة المفتى فى العلوم النقلية والعقلية الشيخ نور الدين القبيلى ، صحبته نحو عشر سنين فرأيته على جانب عظيم من الخشية لله تعالى والبكاء عند سماع القرآن والمواعظ ، وله تهجد عظيم فى الليل ، وأوراد لا يطلع عليها الا الله تعالى ، ثم أهل الكشف ،

وربما تهجد بنصف القرآن واكثر فى ركعة واحدة كما أخبرنى بذلك بعض الصالحين ، فازددت فيه محبة .

وله حاشية عظيمة على كتاب المغنى ، وله الباع الطويل فى علم الكلام والعقائد ، والغالب عليه أحوال الصالحين الملامتية(١) ، فلا يكاد واحد يعرف له مقاما ، لأن أعماله قلبية وسرية ، وقلبه طواف بحضرة الله تعالى ، حتى ربما ذهل عن جليسه .

ولولا حجاب المفاخرة على قلوب اخوانه لأبديت من أخلاقه عجبا . ولكن يكفينا من أعماله الكرم وحسن الخلق ، وكثرة الحياء والأدب ومحبة الصالحين وحسن اعتقاده فيهم ، وكف جوارحه عن المخالفات ، فالله يزيده من فضله أبدا ما عاش آمين .

الشيخ شهاب الدين بن حجر

ومنهم الشيخ الامام العالم العلامة المحقق الصالح الناسك الشيخ شهاب الدين بن حجر الشافعى ، نزيل الحرم المكى .

أخذ العلم عن مشايخ الاسلام بمصر والحجاز ، وانتفع به خلائق لا يحصون ، وهو أحد شهودى على الشيخ محمد الشناوى فى اذنه لى بتربية المريدين وتلقينهم الذكر .

صحبته رضى الله عنه نحو أربعين سنة فما رأيته قط أعرض عن الاشتغال بالعلم والعمل . صنف رضى الله عنه عدة كتب نافعة محررة فى الفقه والأصول والمعقولات . واختصر كتاب الروض لابن المقرى وشرحه شرحا عظيما جمع فيه من الفرائد ما لا يوجد فى كتب شيخ الاسلام زكريا

---

(١) الملامتية قوم من الصوفية يرتكبون اعمالا مباحة منفرة ، لينفض الناس من حولهم وينعمون بالعزلة مع الله تعالى . وليس منهم من يرتكب افعالا محرمة .

ولا غيره ، حتى عارضه بعض الحسدة فسرقه ورماه فى الماء كما قيل ، فاستأنف الشرح ثانيا وكمله ، وشرح الارشاد شرحين عظيمين ، وانتفع به خلائق فى مصر والحجاز واليمن وغير ذلك : وهو مفتى الحجاز الآن ، يقفون كلهم عند قوله .

وله اعمال عظيمة لا يطلع عليها الا من كان خليا من الحسد ، ومن صغره الى الآن لم يزاحم على شىء من أمور الدنيا ، ولا تردد الى حد من الولاة الا لضرورة شرعية ، فأسأل الله تعالى أن يزيده من فضله ، وينفعنا ببركاته فى الدنيا والآخره .

الشيخ شمس الدين الفرضى

ومنهم الشيخ الامام العالم الفقيه : شمس الدين الفرضى السنهورى الشافعى صحبته نحو عشرين سنة فما رأيته على بدعة ولا جالسا على حدث ، وهو دائم التجهد فى الليل بربع القرآن ، وله اليد الطولى فى علم الفرائض والحساب . وشرح الترمذى شرحا فى مجلدين ، وله النظم الشائع .

أخذ العلم من مشايخ الاسلام ، وأجاوزه بالفتوى والتدريس . منهم شيخ الاسلام زكريا ، وشيخ الاسلام كمال الدين الطويل ، وعليه المعول الآن فى العربية وفى الفتوى ، وله خلق عظيم واحتمال للأذى وقناعة ، والاكثر ايامه صائما لا يفطر ، وما دعوته قط لطعام الا وجدته صائما ، وما رايت فى أقرانه أكرم منه نفسا ، فأسأل الله تعالى أن يزيده من فضله ، ويحشرنا فى زمرته .

الشيخ كمال الدين بن الموقع

ومنهم الشيخ الامام العالم الزاهد المقبل على عبادة ربه ، المعتزل عن الناس فى بيته امتثالا لأمر الشارع فى ذلك كمال الدين ابن الموقع .

صحبته نحو ثلاثين سنة فما رأيت عليه شيئا يشينه فى دينه ، والغالب عليه الصمت • أخذ العلم عن جماعة من مشايخ الاسلام ، وصحب الشيخ أبا الحسن البكرى ، وتخرج فى علم التصوف ، وتبحر فى علم الأصول والتفسير والقراءات والنحو والمعانى والبيان ، وله عدة مؤلفات فى هذه العلوم • وأجازه العلماء بالفتوى والتدريس ، فدرس العلم مدة ثم انقطع فى بيته للعبادة •

وما سمعته يذكر أحدا بسوء ، ولا رأيته يتردد الى احد من الولاة وأبناء الدنيا ، ولا يزاحم على شىء من مناصبها • فأسأل الله تعالى أن يزيده من فضله آمين •

الشيخ تقى الدين الأشمونى الأقطع

ومنهم الشيخ الامام العالم الصالح الورع الزاهد الشيخ تقى الدين الأشمونى الأقطع الشافعى •

اخذ العلم عن الشيخ برهان الدين بن ابى شريف ، وعن الشيخ جلال الدين السيوطى وغيرهما ، وأجازوه بالافتاء والتدريس ببلاد الأشمونية ، فدرس فيها وأفتى ، ثم قدم مصر واستوطنها ، ودرس فى المدرسة الخلفانية ، نيابة عن الشيخ ناصر الدين الطبلاوى ، وفى جامع ابن طولون ، وفى جامع يونس خارج قناطر السباع ، وافاد الطلبة علوما جمة •

صحبته رضى الله عنه نحو عشرين سنة الى وقتنا هذا ، فرأيته يحفظ نقول مذهب الامام الشافعى عن ظهر قلب ، وكان رضى الله عنه فى غاية الزهد والورع والخشية من الله عز وجل لا يكاد يسمع شيئا من القرآن ، أو شيئا من احوال السلف الصالح الا ويبكى ، ولبس من ثيابى جبة وقميصا وقلنسوة تفضلا منه ، وقطعت يده ظلما فى ايام « خاير بك » ملك الأمراء فى قصة طويلة رضى الله عنه وحشرنا فى زمرته آمين •

الشيخ جمال الدين بن زكريا الأنصـارى

ومنهم الشيخ العالم الصالح الزاهد الشيخ جمال الدين ، ولد شيخنا شيخ الاســلام زكريا الأنصارى رضى الله عنه ٠

اجمع الناس على صلاحه وزهده وورعه ، وما رايت اصبر على الوحدة منه ، صحبته نحو اربعين سنة فلم أره مشــتغلا بما لا يعنيه فى فى وقت من الأوقات ، بل طول نهاره وليله كان مشتغلا بالعبادة ، اما تلاوة قرآن او علم او تفســير او قراءة او راد او صامت او مراقب متفكر فى أمر معــاده ٠

وقــد ربى فى نزاهة وطاعة وعدم خروج عن دائرة والده ٠ وقــد اجتمعت به بعد أن دارت لحيته فقال : طول عمرى ما خرجت من الدار ، ومقصودى انظر ما بين القصرين وباب زويلة ٠ فقلت : ان شــاء الله تعالى يشرب الشيخ الدواء وامشى معك الى ما ذكرت ٠

ثم ان الشيخ كان لا ينفك عن مطالعة العلم والتاليف يوما واحدا من حين كف بصره ، فمرض الشيخ وشرب دواء وخرجت معه الى ما طلب ، فراى الكنافة ، فقال : ما كنت اظن أن الكنافة تعمل الا فى رمضان ٠

ثم قال لى : مرادى أرى البحر ، فان عمرى ما رأيت البحر ولا المراكب فخرجت لمــا مرض الشيخ ثانى مرة فصار يتعجب أشــد العجب ، ثم بعد موت والده لازم خلوة والده فى النهار ، فلا يركب الا لزيارة والده أو للبيت ، ولا يتردد لأحد مطلقا ٠

وهو ممن جعله الله على الأخلاق المحمدية وضبط الجوارح ، حتى أن كاتب الشمال فى ظنى لا يجد شيئا يكتبه عليه فى ليل ولا نهار ، لكثرة حضوره مع الله تعالى ، وكثرة خوفه ٠

ودرس العلم بالمدرســة الصلاحية بجوار الامام الشــافعى ، رضى الله تعــالى عنه وبالجملة فأخلاقه وصفاته الجميلة لا تحصى رضى الله عنه ٠

وحضرت انا واياه على والده شرح على رسالة القشيرى فى التصوف، وكتاب آداب القضاء ، وادب البحث ، وشرحه التحرير وغير ذلك ، رضى الله عنه ولطف به آمين اللهم آمين ٠

الشيخ شهاب الدين الشنشورى

ومنهم الشيخ الصالح الشيخ شهاب الدين الشنشورى الشافعى رضى الله عنه ، صحبته نحو عشر سنين فما رأيت عليه شيئا يشينه فى دينه ، واعماله السرية اكثر الجهرية ٠ ودرس العلم بالجامع الأزهر وغيره ٠ والغالب عليه محبة الخلفاء ، وما رأيته قط يذكر احدا من ابناء الدنيا الا لضرورة ٠

وما رأيته قط يذكر احدا من المسلمين بسوء ولا بغتابة ولا يزاحم على شىء من الدنيا ، ولما كنت اسهر فى الجامع الأزهر فى رياقة الليل فأجده اما مصليا أو قارئا ، واما يطالع العلم ، واما جالسا واضعا راسه فى طوقه ، فكان يعجبنى حاله وحال الشيخ شمس الدين الترجمان ، وحاول الشيخ ناصر الدين الطبلاوى ، وما رايت اكثر اشتغالا منه فأسأل الله أن يزيده من فضله ٠

الشيخ شمس الدين النبتيتى

ومنهم الشيخ الصالح الورع الشيخ شمس الدين النبتيتى الشافعى رضى الله عنه ٠ صحبته نحو عشرين سنة ، وحضرت انا واياه على شيخ الاسلام زكريا ، فقرانا شرح التحرير وغير ذلك ، واجازه بالفتوى والتدريس فدرس وافتى بالجامع الأزهر ٠

وكان رضى الله عنه عنيفا لطيفا ورعا زاهدا ، خائفا من الله عز وجل ، جميل المعاشرة حسن الخلق ، تعلو اصوات الطلبة عليه ، ويخاطبونه بالفاظ الجفاء فيتحملهم ، وما سمعته رضى الله عنه يذكر احدا من المسلمين بسوء ٠ وكان شيخ الاسلام زكريا يحبه اشد المحبة ،

وكانت له عدة مؤلفات ، وما رايته رضى الله عنه زاحم على وظيفة ، ولا سأل احد فيما لا يعنيه ٠

وكنت اذا رأيت وجهة تذكرت أحوال السلف من النور والبريق الذى كان على وجهه رضى الله تعالى عنه ٠

الشيخ نور الدين المحلى

ومنهم الامام العالم العلامة الشيخ نور الدين المحلى الشافعى المقيم بالمحلة الكبرى الآن ٠ أخذ العلم عن شيخ الاسلام كمال الدين الطويل ، وعن الشيخ شمس الدين المسيرى ، وعن شيخنا الشيخ شمس الدين الدواخلى بجامع الغمرى بالقاهرة ، ودرس العلم وافتى بالمحلة الكبرى ، ووعظ الناس ، وشرح عدة كتب فى فقه الشافعة ، وانتفع به خلائق لا يحصون٠

وله توجه تام الى الله تعالى ، وتهجد فى الليل ، ينام الانس والجن فى الليل ولا ينام ، وله اوراد عظيمة ، ولم يزل من صغره الى الآن على الأخلاق الحسنة والأدب والحياء ، وكف الجوارح عما لا ينبغى ، يفرح اذا ادبر عنه الناس الى الاشتغال عن أحد من اقرانه ، وهذا من علامة اخلاصه ، رضى الله تعالى عنه ، فأسأل الله تعالى أن يزيده من فضله على ممر الأوقات الى الممات ، آمين ٠

مات رضى الله عنه فى شهر ذى القعدة ، سنة ثلاثين وتسعمائة ودفن فى مقبرة المحلة الكبرى رضى الله تعالى عنه ٠

الشيخ شمس الدين المغربى

ومنهم الشيخ الصالح الزاهد العالم العامل الشيخ شمس الدين المغربى الشافعى ، المقيم بثغر رشيد ، صحبته نحو عشرين سنة ، فرأيته على قدم عظيم فى العلم والورع والزهد والخشية وحسن السيرة ، من حياء وكرم ونفس وكثرة أدب ٠

اخذ العلم عن جماعة من علماء مصر ، واجازوه بالفتوى وتدريس العلم ، فدرس وافتى بعد الشيخ شمس الدين ، وانتفع به خلائق لا يحصون،

ولم يزل مقبلا على العلم والعمل به من صغره الى وقتنا هـذا ، يقرى الضيف فى بلاده لكل وارد عليه ، ويحمل الكل ، ويعين على نوائب الدهر ، وراثة محمدية ، اذا تكلم بكلام يخطف القلوب من حلاوة كلامه ، وعلى وجهه خشية العلماء العاملين من كثرة البكاء ورقة القلب .

الشيخ ابو الفتح بن الخلال الفوى

ومنهم الشيخ الامام العالم العلامة المقبل على عبادة ربه الشيخ ابو الفتح ابن الخلال الفوى الشافعى .

صحبته نحو عشرين سنة فما اظن ان كاتب الشمال كتب عليه خطيئة واحدة كثير الصيام والقيام ، وحفظ الجوارح ، وكف البصر .

اخذ رضى الله عنه العلم عن جماعة منهم الشيخ شهاب الدين الرملى ، والشيخ ابى الحسن البكرى ، واذن له الشيخ ابو الحسن ان يحرر كتبه بعد موته لما علمه عنه من تحقيق العلم ، وما رأيت أصبر منه على الوحدة ، أوقاته كلها معمورة بالخير ليلا ونهارا ، وما رايته قط يتردد الى أحد من ابناء الدنيا ، ولا زاحم على وظيفة دنيوية ، ولا ذكر أحدا من أقرانه بسوء ، ولا حسد أحداً منهم على جاه ، رضى الله تعالى عنه .

الشيخ ابو بكر الجيزى

ومنهم الشيخ الصالح الورع الزاهد الامام العلامة الشيخ ابو بكر الجيزى الشافعى ، صحبته نحو ثلاثين سنة ، فما رأيت احدا من اقرانه على قدمه فى حفظ الجوارح وكثرة الصمت والورع والزهد ، وربما يمكث رضى الله عنه اليوم الكامل لا يتكلم بكلمة لغو ، اخذ العلم بالجامع الأزهر ، وانتفع به خلائق ، ومجلسه مجلس علم وادب وحياء وخشية ، زارنى رضى الله عنه فى مكانى مرة وحصل لى لحظ عظيم ، ولا اقوم له بجزاء تلك الخطوات ، فأسأل الله العظيم أن يحشرنا فى زمرته ليأخذ بيدى فى يوم الدين ، فى عرضات القيامة آمين .

الشيخ شمس الدين المحلى

ومنهم الأخ الصالح العلامة الشيخ شمس الدين المحلى الشافعى ، احد طلبة الشيخ شهاب الدين الرملى وغيره ، أخذ رضى الله عنه العلم عن جماعات ، وتفنن فى العلوم ، وأجازوه بالفتوى والتدريس ، وافتى وانتفع به خلائق ، وظهر علمه وفضله للعام والخاص ، وله الاعتقاد التام فى طائفة الصوفية ، والتجهد العظيم فى الليل ، جميل المعاشرة ، كريم النفس ، حسن الأخلاق ، ولم يزل فى ازدياد ان شاء الله تعالى . صحبته عشر سنين فما رأيت عليه شيئا يشينه فى دينه ، بل تربى على تقوى وورع وخوف من الله تعالى ، رضى الله عنه ولطف به آمين .

الشيخ سلام الفيومى

ومنهم الشيخ الامام العالم الصالح الورع الزاهد الشيخ سلام الفيومى، صحبته نحو عشرين سنة فما رأيت عليه شيئا يشينه فى دينه ، رضى الله تعالى عنه ، يحب الخمول ويكره الشهرة ، قليل الكلام ، جميل المعاشرة ، حسن الاعتقاد فى العلماء والصالحين ، وما سمعته يذكر أحدا من المسلمين بسوء ، ولا يزاحم على شىء من أمور الدنيا لا يتردد على أحد منهم الا لضرورة .

أخذ العلم عن جماعة منهم الشيخ العلامة عميرة ، والشيخ شهاب الدين الرملى ، والشيخ شهاب الدين عبد الحق وجماعة ، وتبحر فى العلوم على يدهم ، وأجازوه بالافتاء والتدريس ، فدرس وافتى فى حياة أشياخه ، وانتفع به خلائق ، وهو رضى الله عنه من أشد الناس حبا لطائفة الفقراء .

وأخبر رضى الله عنه بأمور يجدها عند مجالستهم تدل على صدق الاعتقاد وقال : انه يحصل له انس عظيم اذا جلس عند أحد منهم حتى يمتلىء قلبه انسا ، فأسأل الله تعالى أن يزيده من فضله عملا وعلما وزهدا وورعا ، وأن ينفعنا ببركاته ، آمين اللهم آمين .

الشيخ يحيى المسيرى

ومنهم الشيخ الصالح الورع سيدى يحيى المسيرى رضى الله عنه ، رأس المدرسين بالجامع الأزهر .

نشـأ فى علم وادب ونسـك وعبـادة ، لى فى صحبته من حين كان دون البلوغ ، فلم أر عليه شـيئا ، يشينه فى دينه ، وما سمعته يذكر احـدا بسـوء .

أخذ رضى الله عنه العلم عن جماعة من مشايخ الاسـلام كالشيخ ناصر الدين اللقـانى ، والشيخ شهاب الدين الرملى واضرابهم ، وتبحر فى العلوم ، وشرح منهاج النووى شرحا لطيفا ، وجمع فيه فوائد كثيرة ، وأجازه أشياخه بالافتـاء والتدريس فأفتى ودرس وانتفع به خلائق ، وهو من الكرم على جانب عظيم ، وله اعتناء عظيم بقضـاء حوائج الناس تبعـا لوالده كما تقدم ذلك فى ترجمته ، وله الاعتقاد العظيم فى طائفة الصوفية ، وتجهد عظيم بالليل .

واما حلاوة منطقه وحسن عشرته فأمر عظيم لا يكـاد جليسه يمل من طول مجالسـته ، وما رايتـه قط يزاحم على شىء من أمور الدنيـا ، ولا يذكر احدا من اقرانه بسـوء ، ولا غيرهم ، فأسـأل الله تعـالى أن يزيده من فضله .

الشـيخ احمد الاخنـائى

ومنهم الأخ الصالح سيدى أحمد الاخنائى . صحبته نحو نيف واربعين سنة ، فما رايت عليه شـيئا يشينه فى دينه . بل نشـأ فى عفة وخير ، وانكباب على العلم والعمل ، وحفظ الجوارح من الآفات كريم النفس ، جميل المعاشرة ، وما سمعته قط يذكر احدا من اقرانه بسـوء ، وله تجهد عظيم فى الليل وله حرص عظيم على اخفـاء اعماله الصالحة ، حتى لا يكاد أحد من اخوانه يطلع على سرَ منها .

ونمت فى جامع الأزهر ليالى كثيرة ، فكنت أطوف فى الأورقة فى الليل ، فكنت أجد غالبهم نائما الا هو ، فاما يقرأ القرآن بتدبر ، واما يتفكر فى أمر معاده ويبكى .

أخذ رضى الله عنه العلم عن جماعة من مشايخ الاسلام ، كالشيخ عبد الحق السنباطى والشيخ زكريا ، والشيخ برهان الدين بن أبى شريف ، والشيخ كمال الدين الطويل ، وتبحر على يدهم فى العلوم ، وأجازوه بالافتاء والتدريس فأفتى ودرس وانتفع به خلائق . فأسأل الله تعالى أن يزيده من فضله آمين .

الشيخ ابراهيم العلقمى

ومنهم الأخ الصالح الورع الزاهد العالم العلامة الشيخ ابراهيم العلقمى . أخذ العلم عن جماعة منهم شيخ الاسلام الشيخ شهاب الدين الرملى ، والشيخ ناصر الدين اللقانى ، والشيخ شمس الدين العلقمى ، والشيخ شهاب الدين البلقينى ، وأضرابهم . وبرع فى العلوم ، وأجازوه بالافتاء والتدريس .

وصحبته عدة سنين فرأيته على جانب عظيم من المروءة والفقه والزهد والورع وتلاوة القرآن . وما سمعته رضى الله عنه قط يذكر أحد من اخوانه ولا غيرهم بسوء ، لم يزل مكبا على الاشتغال بالعلم والعمل .

فأسأل الله تعالى أن يزيده من فضله علما وعملا وزهدا وورعا ولن يفسح فى أجله حتى ينتفع المسلمين آمين .

* * *

وقد بقى جماعة كثيرة يضيق الزمان عن ذكرهم هنا ولكن ذكرناهم فى كتاب المفاخر والمآثر فى علماء القرن العاشر . وهو كتاب نفيس . فمن أراد زيادة على ما ذكرنا ههنا فليراجعه والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا نهتدى لولا ان هدانا الله رب العالمين .

* * *

وأما من صحبناهم من السادة الحنابلة رضى الله عنهم فمنهم سيدنا ومولانا الشيخ الامام العلامة .

الشيخ تقى الدين

ابن شيخنا ومولانا شيخ الاسلام شهاب الدين الحنبلى الفتوحى : الشهير بابن النجار .

صحبته نحو أربعين سنة فما وجدت عليه شيئا يشينه فى دينه ، بل نشأ فى عفة وصيانة وادب وعبادة ونسك .

اخذ رضى الله عنه العلم عن والده شيخ الاسلام المذكور ، وعن جماعة من ارباب المذاهب المختلفة ، وتبحر فى العلوم حتى انتهت اليه الرئاسة فى مذهبه ، وأجمع الناس على أنه اذا انتقل الى رحمة الله تعالى مات مذهب الامام أحمد فى مصر ، وسمعت هذا القول مرارا من شيخنا شهاب الدين الرملى رحمه الله تعالى .

وما سمعته قط يستغيب أحدا من أقرانه ولا غيرهم ولا حسد أحدا على على شىء من أمور الدنيا ولا زاحم عليها . وولى القضاء بسؤال جميع اهل مصر فأشار اليه بعض العلماء بالولاية وقال : بيقين عليك ذلك ، فأجاب بمصلحة المسلمين ، وما رأيت أحلى منه منطقا ولا أكثر أدبا مع جليسه حتى يود أنه لا يفارقه ليلا ولا نهارا .

وبالجملة فأوصافه الحسنة تجل عن تصنيفى ، فأسأل الله تعالى ان يزيده علما وعملا وورعا وزهدا الى ان يلقاه وهو راض عنه . آمين .

الشيخ شهاب الدين البهوتى

ومنهم الامام العالم الصالح الشيخ شهاب الدين البهوتى ، صحبته نحو أربعين سنة ، فما رايت عليه شيئا يشينه فى دينه ، فانه نشأ فى عبادة ونسك وخدمة للأولياء . خدم القطب الغوث سيدى محمد الشربينى عشر سنين ، ووقع على يديه كرامات وخوارق ، وكان الشيخ محمد يحبه

حبا شديدا . واخبره أنه اذا مات وغسل لا يأخذ أحد من ماء غسله شيئا الا ابرأ الأكمه والأبرص والأجرب ، فتسامع أوليـاء عصره بذلك فصبوا عليه نحو أربعين جرة من ماء البحر ، فلم يقع منها الى الأرض نقطـة واحـدة ، فعلدوا ان الأوليـاء تلقوه من على الدكة ، واخـذوه للتبرك رضى الله عنه .

اخذ العلوم عن شـيخ الاسلام شهاب الدين الشيشينى ومن شـيخ الاسـلام شهاب الدين الفتوحى وغيرهما ، وتبحر فى العلوم رضى الله عنه ، وانحصر على المذهب فيه فى مصر وقراها . والغالب عليه اخفاء أعماله الزكية تبعا لشـيخه الشيخ محمد الشربينى ، فانه من الملاثية(١) رضى الله عنه . له تجهد عظيم فى الليل ، وغالب أيامه صيام ، وما رأيت فى أقرانه أعف ولا ازهـد منه فى الدنيا ، وانما يتظاهر بحبه للدنيـا فى بعض الأوقات سـترا لحاله . فانى خالطته زمانا مخالطـة شـديدة وعرفت حاله .

ولـما وقع التفتيش على أموال السلطان من جهة العلماء والرزق والأوقاف جاءنى وقال لى مقصودى انهم يفتشوننى ايضـا على الشريعة ، وينظر ما نقص من احكامها فيعيدوه ، بأمر النـاس بالعمل به . فكان ذلك سبب تأليفى كتاب « تنبيه المفترين » على ما خالفوا فيه هـدى الصحابة والسلف والتابعين والعلماء . وبينت فيه ما نقص من أعلام الدين ، وله ذوق عظيم فى طريق القوم ، ما أظن أحدا من علماء مصر شاركه فيه الآن ، ويعرف ألقاب القوم كلها .

وقد أرسل لى مرة يقول : اذا سألك أحد حاجة فاشركها بالصباغ . فلم أعرف مراده بالصباغ حتى أعلمنى انه رسـول الله ﷺ لأن حضرته

---

(١) سبق التعريف بهـا .

ﷺ صباغة لكل من دخلها بالخير لكونه رحمة للعاملين واما اهل الدوائر الكبرى فيعرفهم ويعرف مراتبهم حتى كانه تربى بينهم . فأسال الله تعالى ان يزيده من فضله ويفسح فى أجله لمنافع المسلمين آمين اللهم آمين .

* * *

واما بقية اصحابنا فقد ذكرناهم فى كتابنا المفاخر والمآثر فى علماء القرن العاشر فمن أراد زيادة على ذلك فليراجعه والله أعلم .

* * *

خاتمــــــة

وليكن ذلك آخر كتابنا الطبقات الصغرى وآخر كتابنا لواقح الأنوار القدسـية فى مناقب العلماء والصـوفية الى عصرنا هـذا وهـو سـنة ثلاث والف ٠

واعلم يا أخى أننى لم اذكر من الصحابة والتابعين والعلماء العاملين الا من له كلام فى الطريق أو حال ينهض همة الطالب دون ضد ذلك ٠ كما أننى لم اذكر من الصوفية والعلماء الذين ادركتهم الا من كان لى بهم صحبة او قرات عليهم شيئا من العلوم ، او اخذ على العهد كما مر بيانه فى هـذا الكتاب وفى مواضع من اثنائه ٠ فما تركت ذكر مناقب من تركت استهانة بحقوقهم وانما ذلك لمـا ذكرناه ٠

وايضاح ذلك ما ذكره الشيخ عبد العزيز الدرينى فى منظومته فى مناقب العلماء ٠ ولك أن الزمان لا يخلوا من وجود مائة الف ولى واربعة وعشرين(١) فأسأل الله ان ينفعنـا ببركاتهم وأن يمدنـا بمددهم نحن واخواتنا وأن يحشرنا فى زمرتهم وتحت لوائهم ولا يخالف بناعن طريقهم آمين يا رب العالمين ٠



---

(١) فى الأصل احدى وسـتين وتسعمائة ولكنه ذكر التاريخ الذى ذكرنـاه ٠

الموضوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة


الرائد
في تجويد القرآن


ديوان البرعي
في
الابتهالات والتضرعات الإلهية والمدائح المحمدية


0510911